السّرديّةُ التّاريخيّةُ الأردُنيّةُ

السّرديّةُ الدّينيّةُ

أشرف الضّباعين

سلسلة السـردية التاريخية الأردنية

السـردية الدينية

أشرف الضباعين

منشورات أشرف الضباعين

2025

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (4856/8/2024)
بيانات الفهرسة الأولية للكتاب عنوان الكتاب: السردية التاريخية الأردنية : السردية الدينية تأليف: الضباعين، أشرف عبدالله يوسف بيانات النشر: مادبا، أشرف عبدالله يوسف الضباعين،2024 الوصف المادي 135 صفحة رقم التصنيف: 956.5 الواصفات: المواقع الأثرية/ التراث الثقافي/ الظاحداث التاريخية/ السرد/ تاريخ الأردن الطبعة: الطبعة الأولى السلسلة: سلسلة السردية التاريخية الأردنية يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978-9923-0-1297-0 (ردمك)

يطلب الكتاب من المؤلف على العناوين المثبتة على الغلاف الخلفي

هذا الكتاب يمثل رأيًا شخصيًا للمؤلف مبني على حقائق دينية وتاريخية وأثرية ملموسة أو من التراث الشفهي المنقول، ولا يعبر هذا الكتاب عن رأي أي فردٍ أو جهة أخرى رسمية أو غير رسمية ما لم يرد عنده إشارة، أو نصًا في هذا الكتاب.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

يخوض الإنسان في حياته عدة معارك، مع نفسه ومع التحديات ومع البشر ومع الحجر... حتى يصل مرحلة ما يستسلم فيها أو ينتصر.

ونحن ننتصر

أشرف عبدالله الضباعين

الفهرس

مقدمة 1

المسألة اليهودية وأوروبا 4

السردية اليهودية المقابلة 7

الحاجة إلى السردية التاريخية 10

الكتاب المقدس مصدرًا لأحداث تاريخية 13

علم السرد 19

التحقق في علم مادة السرد 22

السردية وعلما التاريخ والآثار 25

السردية والكتب المقدسة 28

مقدمة في الكتاب المقدس 32

ملوك وأنبياء العهد القديم 50

الاحتلال الإسرائيلي القديم 53

مصطلحات وجب شرحها 57

تأسيس السردية التاريخية 62

قصة مكان مقام النبي نوح 64

قصة مكان إبراهيم ولوط 67

قصة مكان سادوم وعمورة 70

قصة مكان زوجة لوط 76

قصة مكان كهف لوط 77

قصة مكان النبي شعيب 84

قصة مكان النبيان موسى وهارون 88
قصة مكان مقام حزير 102
قصة مكان مقام النبي يوشع بن نون 104
قصة مكان الملك شاول وعمون 107
الملك ناحاش ومملكة عمون ويابيش جلعاد 108
قصة مكان الملك داوود وعمون 109
قصة مكان ربة عمون 111
قصة مكان تل مار إلياس 114
قصة مكان النبي السابق 118
قصة مكان مكاور ويوحنا المعمدان 123
قصة مكان معمودية السيد المسيح - المغطس 125
قصة مكان أهل الكهف 131
قصة مكان كاسترون ميفعة (أم الرصاص) 134
السؤال المهم: هل زار السيد المسيح الأردن؟ 136
مواقع مسيحية أخرى 138
مواقع إسلامية أخرى 140
أضرحة الصحابة في الأردن 143
آلهة وثنية أردنية 147
معلومات عامة 148
السيرة الذاتية للمؤلف 152
المراجع 153

مقدمة

إن الأردن بلد غني بكنوزه البشرية والتاريخية والأثرية والطبيعية وغيرها من جوانب الحياة، وتتميز الأردن بأنها واحدة من أكثر بقاع الأرض التي أنعم الله عليها بالعديد من النعم، أولها موقع الأردن المتميز، حيث تتواجد في موقع جغرافي فريد جعلها تتوسط قارات العالم القديم، فهي إذا مقر للعديد من الحضارات والشعوب والقبائل وأرضًا لعددٍ من الممالك والدول والحضارات، كما أنها كانت ممرًا للعديد من القوافل والقبائل والأمم والشعوب.

هذا كله جعل الأردن بلدًا متميزًا فريدًا، فذُكِر في عدةِ مواقع من الكتاب المقدس، الذي يعتبر أهم وأقدم وثيقة دينية متكاملة وصلت إلينا، كما ذُكر في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، حيث كان الأردن موقعًا ومكانًا للعديد من الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي سواء أثناء حياة الرسول أو لاحقًا أثناء الخلافة الإسلامية على مر العصور، ناهيك عن ذكره في عدةِ مصادر قديمة أخرى، وقد يقول قائل أن الأردن لا وجود سابق له، وأنه بلدٌ مستحدثٌ، وأنه كان صحراء خاوية على عروشها، فعن أي تاريخٍ وحضارات نتكلم! لمثل هؤلاء نقول: أعانك الله على عقلٍ لم تُجيد استخدامه، ولسانٍ اعتاد ترديد كلام الأعداء والبلهاء، وإتخاذ مواقف المشبوهين والمغرضين من أصحاب الفكر الظلامي أو الاستعماري.

وكما أشرنا سابقًا عن تلك الحضارات الغابرة والضاربة جذورها في عمق التاريخ حتى الأقرب لأيامنا، كانت كل حضارة من هذه الحضارات تضع لمساتها وأسلوبها وطريقة عيشها ومعتقداتها وشواهدها من أعمالٍ وعمارة سواء البسيطة منها كبيوت الطين والقصب والصخور، وحتى أعمال وعمارة ذات أبعادٍ هندسية معقدة كالمسارح والساحات والمعابد والكنائس والمساجد والقصور والقلاع والحصون وغيرها، ناهيك عن أعمال تراثها وثقافاتها وفنونها كالتماثيل، والأصنام، والأوثان، والأنصاب، والأزلام، مرورًا بالمجسمات والأعمدة والنقوش ولوحات الفسيفساء والكتابات؛ كذلك كانت تترك بصمتها وأساليبها التقنية في التعامل مع الماء الشحيح والزراعة والصناعة والتنقل والتجارة وغيرها.

كما تعتبر الصحراء الأردنية مكانًا زاخرًا بالحياة منذ العصر الحجري الحديث ناهيك عن أنها كانت موئل القبائل العربية الشمالية، التي كشفت كتاباتهم ونقوشهم على الحجارة على امتداد الصحراء عن تواصلهم الحضاري الفاعل مع القبائل والدول المجاورة.

ورغم هذا الزخم الكبير في التاريخ والحضارة والتراث الإنساني والطبيعي، إلا أن القطاع السياحي في الأردن يعاني من ضعف شديد ونقص حاد في السردية أو المروية التاريخية، مما جعل الكثير من الدخلاء يسردون قصصًا ما أنزال الله بها من سلطان، والمبالغة في المرويات حتى اختلط الغث مع السمين، والصالح مع الطالح، والطيب مع الخبث، والجيد مع السيء، والحقيقي مع المزور، والواقع مع الخيال. وسعى البعض لرفض كل المرويات سعيًا لتمرير مروياته أو ما يتفق مع رؤيته ورأيه أيًا كان، وهذا لا ينقص الحقيقة شيئًا بل يجعل المصداقية العلمية لهذه المجموعات محل شك وريبة، وزاد الأمر سوءًا أن لا جهة رسمية واحدة قادرة أو راغبة في تبني مروية أو قصة واحدة، وأنها اذا ما تبنت مروية من تلك المرويات أعادتها إلى الاعتقاد المحتمل، ونسبتها إلى الشك لا إلى اليقين، والحديث يطول حول هذه النقطة بالتحديد.

وعليه فإن الزائر أو السائح أو المواطن أمام جهلٍ حقيقي لذلك التاريخ، تاريخ الأردن القديم، فيعتمد وجهة نظر أحدهم، أكان مؤرخًا، أو رجل دين، أو حتى سباكًا يهرف بما لا يعرف.

لقد سمعت وشاهدت الكثير ممن يسترزقون بهذا الأمر، وقدموا لذلك سرديات ومرويات لا يمكن وصفها بأقل من تسويقٍ سياحي خالي من الهدف والمضمون والمعنى، ويهدف في الأساس إلى إبهار السائح أو الزائر أو المشاهد أيًا كان بقصةٍ مشوقة فُبِركت في حينه أو مسبقًا ولا تستند لواقعٍ أو حقيقة.

لذا وإن خلت الساحة من سرديةٍ رسمية كان لا بد من عملٍ فردي لنشر سردية تستند إلى مصادر ووثائق ومراجع يُعتد بها.

يُقدم هذا الكتاب مساعدة لمن يرغبها ولمن يحتاجها. لكن يجدر التنويه بأن هذا الكتاب هو كتاب دراسات تاريخية موجه في الأساس للدليل السياحي، وهو ليس كتابًا تبشيريًا دعويًا، بالرغم من استنادي لأهم وأقدم المصادر الدينية والتاريخية المدونة. وكل ما يرد من معلومات تاريخية أو دينية هنا هدفها زرع ثقافة عامة لدى الدليل السياحي، ليقدم سردية أو قصة للمكان الذي يعمل فيه، وليس تغير معتقده الديني ولا لإثبات ما لا حاجة لنا به، ولا إنكار ما يريد البعض أن نصمت ونسكت عنه.

إن الحكمة تقول: إعرف عدوك. ونحن كعرب بيننا وبين المهاجرين من أوروبا وأمريكا من شعبٍ ينتسب لليهودية -وهم صهاينة محتلين- عداوة لا تلين، ولا يجب أن تلين، حتى نسترد أرضنا العربية في فلسطين وفي الجولان وما تبقى من جنوب لبنان من المحتل الغاصب، وهذا يتطلب منا أن نعرفهم جيدًا ونعرف دينهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ونقاط ضعفهم وما أكثرها ونقاط قوتهم وما أقلها، حتى نتمكن من محاربتهم بكل الوسائل المشروعة والتي كفلتها لنا النزعة البشرية أولا والمواثيق الدولية ثانيًا، والتي يعطلها شيئان: أمريكا أولهما، وقدراتهم المعرفية ثانيًا، فهم شعب مثقف واستطاع بالعلم أن يشتت عددنا وعدتنا، ونحن شعب أغلبنا غير مثقف ويرفض معرفة عدوه بالشكل الصحيح والدقيق، وعليه، أكرر أن هذا الكتاب ليس كتابًا تبشيريًا أو دعويًا رغم مرجعيتي المسيحية التي أعتز بها، بل كتاب ليستفاد منه كل من يريد معرفة "اليهود" في جزئية بسيطة وكيف نقدم مواقعنا التاريخية والأثرية بالطريقة السليمة والصحيحة دون لبس أو مغالطات أو خوفٍ أو تحفظات.

والله ولي التوفيق.

المسألة اليهودية وأوروبا

إن اليهود شعب حقيقي وليس من الخيال، وهذا شيء لا يمكن نكرانه، وأي باحث يقول غير ذلك فهو إما مشكك بالتاريخ وإما يشك في دينه؛ فاليهودية دين سماوي وجد قبل المسيحية وقبل الإسلام، وكلا الديانتين أكدتا هذا الأمر في كتبهما المقدسة، أو في الكتبُ والسّير التي صدرت بعد ذلك. ولا يمكن أن ننزع اليهودية كدين عن قبيلة أو مجموعة قبائل مهاجرة وجدت في منطقتنا، ونشأت فيها، وارتحلت نحو مصر في فترة معينة وعاشوا فيها، ثم هاجروا منها وتاهوا في الصحراء أربعين عامًا إلى أن وصل منهم من وصل لأراضي كنعان، فأخذوها بالقوة والاحتيال، وأسسوا فيها مملكة موحدة لمدة ثمانين عامًا أو أكثر بقليل ثم انقسمت إلى مملكتين، ثم تم سبيهم، ثم عادوا بعد السبي، بعضهم مختلطًا بالأمم التي سبتهم، وبعضهم لم يختلط، وعاشوا وعمروا جزء صغير من أرض كنعان أغلبها في فلسطين المحتلة، ثم جاء الرومان واحتلوا منطقتنا كلها، ولأن اليهود شعب متمرد وعنيد ويملك الكثير من الكبرياء الفارغ، فقد تمرد هذا الشعب على الرومان، فما كان من تلك الإمبراطورية العظيمة إلا أن سحقت تمردهم، وهدمت كل مبانيهم حتى الأسوار التي بنوها، ولم يبق من أثرهم حجر على حجر، ومات منهم جمع كثير، ومن استطاع الفرار هرب نحو الشمال، ونحو الشرق، ونحو الجنوب، ومنهم من هرب نحو البحر ثم نحو أوروبا وهكذا تشتت جمعهم وتفرق في القرنين الأول والثاني ميلاديين، وهؤلاء مع مرور الوقت انقسموا إلى فئتين أقلية حافظت على عقيدة موسوية تلمودية، منغلقين على أنفسهم، وأكثرية اختلطت بالشعوب التي نزحوا إليها، فتزوجوا منهم، وزوجوهم، فأصبح هناك يهود ذو بشرةٍ سوداء ويهود ذو بشرةٍ بيضاء، مخالفين بذلك شريعة آبائهم، لكن رغم هذا الاختلاط والتزاوج فإن اليهودية بقيت منغلقة على نفسها، وكان كافيًا أن تكون الأم يهودية ليكون الابن يهوديًا سواء كان الأب مسيحيًا أو مسلمًا أو حتى من دينٍ آخر.

هذا التزاوج استمر لقرون حتى غدا يهود ما بعد الشتات يختلفون عن يهود ما قبل الشتات، وأن اليهود المنغلقين بالتزاوج انفتحوا بغير رضاهم أو برضاهم على الشعوب والأمم الأخرى، ناهيك عن خروج الكثير من أصحاب الديانات السماوية الأخرى أو الوثنيين من دياناتهم، وتدينوا بدين موسى، حتى ولو اعتبروا فئة أخرى أو جماعة ليست نقية عند اليهود المتشددين، ومع الوقت أصبح اليهود -المنغلقين على أنفسهم والذين يعتبروا أنفسهم فوق الجميع، والذين كانوا تجارًا أغنياء- مشكلة لدى الشعوب المحيطة بهم، فمثّل اليهود في أوروبا مشكلة كبيرة وخصوصًا في القرون الوسطى، وأصبحت هذا المشكلة تكبر وتنمو وتزداد، بل أن كراهية المسيحيين لهم تفاقمت كونهم الجماعة التي صلبت المسيح، فالمسيحيون لم ينسوا منذ القرون الأولى أن "دمه عليهم وعلى أولادهم" أي دم المسيح، وبقيت هذه الجملة تلاحق اليهود في أوروبا، فما زادهم هذا الأمر إلا انغلاقًا على أنفسهم. وعندما لم تنجح عمليات الاضطهاد والملاحقة بحقهم أخذت محاكم التفتيش في أوروبا تحكم على الكثير منهم بالقتل ومصادرة الاملاك وغيرها. ثم عندما جاء هتلر نما الحقد عليهم فجمعهم في معسكرات وكينتونات وقام بحرق الكثير منهم في معتقلاتٍ كان الهدف منها القضاء عليهم، وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية وحطت أوزارها بدأ قادة أوروبا بمحاولة حل المشكلة اليهودية بنفس فكرة هتلر لكن ليس بكنتونات مغلقة في أوروبا بل خارجها. لقد أرادوا التخلص منهم بأي طريقة وحل قضيتهم بأي وسيلة بعيدًا عن أوروبا المتخمة بالجراح والمنقسمة والمفلسة. فما كان من قادة الحلفاء إلا إيجاد مكان يحوي هؤلاء ويحتويهم، أو أقلها أغلبهم، فجاءت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود، وهو ما أراده اليهود أنفسهم المتعبين من أوروبا ومن الاضطهاد الديني والعرقي الذي جرى عليهم منذ قرون، فكانت فكرة إنشاء وطن قومي لهم في عدة مواقع أغلبها بعيدًا عن فلسطين، إلا أن الحركة الصهيونية كانت تدبر فكرة ترحيل اليهود وإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، ونجح بلفور في أن يقنع بريطانيا بأن تكون فلسطين هي الموطن الذي سيتم تهجير اليهود إليه. فخنثوا وعدهم للشريف الحسين بن علي وسمحوا لليهود بالهجرة سرًا وعلانية لفلسطين التي كانت تحت الاستعمار البريطاني، ثم أن البريطانيين سمحوا لعصابات

اليهود بالتسلح والتوسع وشن حملات عسكرية على الشعب العربي في فلسطين الذين منعت عنهم السلاح ورفعت عنهم الحماية، إلى أن تمكنت تلك العصابات بدعمٍ بريطاني من تأسيس كيانٍ صهيوني قوي تشكل على أثره دولة في جزء من فلسطين، ولم يرض العرب بقرار التقسيم الدولي فشنوا حربًا على هذا الكيان الغاصب سنة 1984 لكن لقلة السلاح والعتاد عند العرب وانعدام التنظيم والإدارة المشتركة للحرب خسر العرب حربهم التي اسموها النكبة، وبقي جزء تحت السيطرة العربية في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتآمر الغرب على الأمة، واستمروا بتسليح هذا الكيان ودعمه بينما كان الدعم الغربي للدول العربية هزيلا لا ينفع، فشن العدو حربًا باغته لُقِبت بالنكسة سنة 1967 أدت لخسارة الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان، وحاول الكيان لاحقًا سنة 1968 أن يحتل المرتفعات الأردنية شرقي نهر الأردن ليحمي مكتسباته التي حققها سنة 1967 وليشل قدرات الجيش العربي الأردني والمقاومة الفلسطينية، لكن الجيش العربي الأردني الباسل والمقاومة الفلسطينية استطاعا دحر الجيش الصهيوني المحتل وطرده وتكبيده أول خسارة حقيقية له... والكلام يطول.

وبالرغم من أن الصهاينة من الذين يدعون أنهم يهود أوروبا ولاحقًا اليهود من كل العالم انتقل منهم عدد كبير نحو فلسطين المحتلة، لكن ما زالت الصهيونية تؤثر وتتحكم في صناعة القرار العالمي في أمريكا وأوروبا، فلا أوروبا استطاعت التخلص منهم بشكل فعلي ولا استطاع العرب التخلص من هذا الكيان الذي فرض عليهم من قبل الاستعمار الغربي والمؤامرة الأوروبية. وبالرغم من كل المحاولات لإثبات أن لهم أحقية حكم هذه الأرض بكونها أرض الميعاد، إلا أن هذه الأرض كانت وما زالت عربية خالصة لا مكان فيها لمحتل أو عدو... وأن اليوم الذي ستتحرر منه هذه الأرض المقدسة من الغاصب المحتل آتية لا محالة.

السردية اليهودية المقابلة

يقول أمين محمود في مقال له نُشر في صحيفة الشرق القطرية: "إن المتتبع لمسار الحركة الصهيونية ومشروعها الاستيطاني في فلسطين لا بد وأن يتساءل عن السر في سهولة تقبل الدول الغربية لهذا المشروع، وإبداء استعدادها الكامل لتقديم كل ما يحتاج تنفيذه من مساندة... وفور البدء بهذا المشروع أعاد الصهاينة مراجعة التاريخ اليهودي فأدخلوا عليه تعديلات جوهرية بحيث جعلوا تاريخ العبرانيين القدماء وتاريخ الصهيونية تاريخًا واحدًا يكمل الواحد منهما الآخر، ثم أخذوا يروجون لإدعاءات ومزاعم تاريخية تدور حول الانتصارات الباهرة التي عزيت للعبرانيين القدماء والتي قيل أنهم حققوها ضد أعدائهم من أبناء القبائل الكنعانية، وذلك كله من أجل شحذ الهمم وبعث الحافز والحماس لدى عامة اليهود كي يتقمصوا صفات أولئك الأجداد التي كان الصهاينة يروجون لها كالشجاعة والقوة والثقة بالنفس، وذلك لتحفيز أكبر عددٍ من هؤلاء اليهود للهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها والبدء بتنفيذ مشروع الدولة اليهودية على أرضها... ولذا فلا عجب أن نرى الصهاينة يبادرون إلى الاحتفاء برموزهم التاريخية التي استرجعوها من الماضي العبري القديم وادعوا أنها صاحبة انجازات بطولية كبرى... وقد استرسل الصهاينة في نشر المزيد من ادعاءاتهم التاريخية ولا سيما تلك المتعلقة بالمثيولوجيا التي لا يقرها أي مفهوم علمي، كادعائهم على سبيل المثال بوجود أمة يهودية قائمة على مر العصور بسبب وحدة التكوين الروحي لليهود وماضيهم التاريخي الواحد مدعين أنهم أمة ثابته عبر التاريخ... فإذا ألقينا نظرة سريعة على طبيعة الحياة التي كان يعيشها قدماء اليهود، يتبين لنا أن مجمل ما حصل في تلك الفترة لا يعدو أن يكون قيام كيان يماثل في معالمه الأساسية تلك الدويلات التي كانت تقوم وتنشأ في عهد العبودية. فقد كان ذلك العهد هو عهد الحروب القبلية المتواصلة التي كانت تنشب من أجل النهب وامتلاك العبيد والاستيلاء على أفضل الأراضي. ومما ساعد الصهيونية في سهولة تقبل الدول الغربية لمسعاها ومراميها الهادفة إلى انشاء الدولة اليهودية هو تلك الأجواء الدينية التي كانت سائدة في أوروبا في أعقاب ظهور

حركة الإصلاح الديني، وتزايد الأنشطة والأفكار المتهودة التي أصبحت تشكل جزءاً أساسياً من النسيج الثقافي الغربي، بحيث تحولت فلسطين فجأة في نظر العديد من المذاهب البروتستانية والكلفينية منها بشكل خاص الى أرض وصفها المبشر البريطاني، اللورد شافتسبوري، بأنها "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" وادعى بأن اليهود هم الشعب الذي وهبه الرب حق، استيطان تلك الأرض، حيث أنهم يشكلون حجر الزاوية في الخطة الإلهية لتحقيق الحلم المسيحي في الخلاص الابدي. وقد تبنى هذا المعتقد الديني الإنجيليون البيوريتانيون الذين عرفوا باسم المسيحيين المتهودين أو الصهاينة المسيحيين، وهم سبقوا بظهورهم ظهور الصهيونية اليهودية التي يعود تاريخها فقط الى مؤتمر بال عام 1897. وهكذا فاننا نجد أن انحياز الدول الغربية كبريطانيا وأمريكا للصهيونية وإسرائيل فيما بعد انحياز أساسه لاهوتي وثقافي وليس مجرد انحياز استراتيجي أو مجرد انحياز بتأثير اللوبي اليهودي (رضا هلال، المسيح ونهاية العالم)، ويعتبر اليهود – في نظر هذه المجموعات المتهودة – هم الفلسطينيون الحقيقيون الذين ينتشرون في العالم غرباء عن وطنهم بانتظار عودتهم آجلا او عاجلا".

في المقابل لا بد من إيجاد سردية أردنية تقوم على أن ممالك مؤاب وعمون وغيرها من الممالك كانت ممالك ثابته، موجودة، نشأت على هذه الأرض، ونمت وتطورت، وأنها حينما ضعفت وجد بعدها ممالك أخرى كالأنباط، وأن تلك الممالك الأردنية كانت تدافع عن أراضيها ووجودها ضد المعتدين، وأن القبائل الهمجية التي حاولت أن تسير أو تسيطر على أراضيها وحقوقها لم تكن صاحبة الأرض بل جحافل من الهمج جاؤوا من مصر وعاثوا فسادًا في الأرض، وأن تلك الممالك كانت في فتراتٍ متعددة ممالك قوية أحيانًا، وممالك ضعيفة أحيانًا أخرى، وفي المقابل كانت فلسطين كنعانية، ثابته، مستقرة، وأنها تعرضت كما ممالك شرقي الأردن لصراعٍ مع محتل قبلي جاء من مصر، فانتصرت عليه حينًا وخسرت حينًا أخرى... إلى أن سيطر الرومان على كل تلك الممالك وأخذها في حينه.

هذه هذه السردية التي نحن بحاجة لها. لكن كتابتها تحتاج لمزيد من البحث والتنقيب الأثري، والجدية في التعاطي، وقوة في الطرح في مقابل سردية تتعاطى مع الموضوع بكل قوة.

الحاجة إلى السردية التاريخية

إن الرواية تحتمل فكر الراوي. لكن الرواية التاريخية سردية مختلفة.

يفترض بالسردية التاريخية أن تحمل "ما حدث" من الأحداث، مجردةً من الإسفاف والتهويل والمد والتضخيم والتسفيه والتعظيم، لكن ما حدث ويحدث في الرواية التاريخية أنها كانت ولا زالت كتابة المنتصر، وسيرة لفردٍ أو جماعةٍ تصورهم كالأبطال، وغيرهم الأبالسة أو الكفار أو غيره، فيعبثون فيها كيفما شاء حتى باتت المروية التاريخية مع مرور الزمن نصًا مشكوك فيه، ومصدرًا يهاب الكاتب أو الباحث من الرجوع إليه مع اختلاف نظرتهم لهذا النص.

ولعل اختلاف الناس في الأديان والأعراق والأنساب جعل أمر التشكيك في الرواية الدينية أمرًا غالبًا، بل في الكثير من الأحيان أُعتبر هذا التشكيك أمرًا محببًا ومن أصول الدين. فالتشكيك برواية الآخر هو تأكيد على صحة رواية المُشكك بالرواية... ويطول الحديث في هذا الموضوع بالتحديد، لكنه أحد الجوانب الجدلية التي تثير غبار وعواصف الناس بعضها ضد بعض وصولا حتى للذبح والقتل.

إن الرواية التاريخية للتراث الملموس بشقيه المنقول وغير المنقول، لا يقدم فقط قصصًا مشوقة للسائح أو للزائر أو للمهتم، بل يسلط الضوء على ماضٍ قريبٍ أو بعيد، فيعمل على تواصلنا معه، تواصل يتخطى البعد الذي نعيش فيه إلى بُعدٍ معرفي ذي أبعادٍ أوسع وأعمق، فتخرج من ذاتك لتعانق ذلك المجهول الذي ما عاد موجودًا بكل ما فيه من جوارح وعناصر.

إن الحاجة إلى السردية التاريخية ليست أساسية لكنها ضرورية لاكتشاف تلك الأحداث والعادات والقيم والتقاليد التي ولدت في يوم ما كحدث أو كلمة أو عمل أو فكرة ثم تطورت لتصبح تلك الأشياء التي يحملها الناس والكثير منها يحمل قدسية ما، لا يمكن التسامح عند كسرها، وإن كانت تمثل جدلا وجدالا بين فئات الناس.

إن هذا الاكتشاف "اكتشاف السردية" أو بالأحرى الكشف عنها تحقيق لغاية إنسانية التي من أجلها وجدنا، ولها نحيا، ومعها نفهم الكون ونفهم الإنسان، بل معها نستفيق من غيبوبة العقل، ونتذكر كينونتنا وتشكيلنا في صيرورة الزمن.

إن كشف تلك الحقائق -إن استطاع الإنسان كشفها- تمكنه من أن يخرج من بوتقته أو القالب المصبوب فيه سواء كان بإرادته أو عبر عبث الآخرين برأسه، نحو عالمٍ يرى فيه ولا يكتفي بالنظر، يصغي فيه ولا يكتفي بالسمع، يفهم فيه ولا يكتفي بالقراءة، يتفاعل فيه بإنسانيته ويتأمل ويشكر الله على أن الحقيقة أمامه وإن طمسها الآخر أو الزمن، مهما طال الآخير أو اندثر الأول، وهذا لا يعني أنها اختفت أو تختفي للأبد، فنحن كل يوم أمام كشفٍ جديد؛ ولذا فإننا نعتبر علم الآثار شديد الأهمية في كتابة السردية التاريخية، لكن للأسف فإن هذا العلم الاجتماعي قابل للتفسير حسب أهواء الآثاري حينًا أو فهمه أو معتقده الفكري والسياسي والعرقي والعقائدي، فالقطعة الأثرية لوحدها قد لا تعطي التفسير الكامل، ولكنها قد تعطي تفسيرًا ما يساعد على وضع تصورٍ ما أو "يُقرب الفهم"، ولنعطي مثال: قارورة تل سيران والتي عُثِر عليها في تل سيران داخل حرم الجامعة الأردنية في مطلع عقد السبعينيات من القرن العشرين، وجد عليها نقش يحمل النص التالي: *1 عمل عمي ناداب، ملك العمونيين. 2 بن هصيل إيل، ملك العمونيين. 3 بن عمي ناداب، ملك العمونيين 4 الحديقة والجنائن 5 والقناة والخزّان 6 يفرح ويبتهج 7 لأيام عديدة 8 وسنين عديدة*. فهذا النقش أكّد حقائق، ولكنه لا يكشف كامل الحقيقة، بمعنى آخر هو دليل أثري ملموس عن أحداث تاريخية ذُكرت في وثائق، وكانت قبلها محل تشكيكٍ وشك.

لا يمكن بلوغ الثقافة والفهم دون أن يعود الإنسان لجوهره، ولا يمكن للإنسان أن يعرف جوهره دون أن يفكك تلك الخيوط التي تشكل ذاته ليستطيع العودة لتلك الجذور التي يفهم فيها نفسه ومحيطه، ولا يمكن للإنسان أن يفكك تلك الخيوط دون أن يفهم ماضيه. ولا يعني التفكيك بأي حالٍ من الأحوال تفكك وهدم وسحق بل يعني أن تعرف مصدر الخيط وما يربطه من خيوط أخرى وما يتصل به من عُقدٍ وغيرها.

بهذا الصدد يقول الآثاري الأردني جهاد هارون في مقالة منشورة له في صحيفة أردنية: "إن أردنا بناء سردية تاريخية للأردن على سبيل المثال؛ فلا بد من الاتفاق على مجموعة من المبادئ تحمي الهوية الوطنية ولا تفصلها عن محيطها العربي المسيحي والإسلامي على حد سواء، ومن أُولها الحيادية في الطرح، إضافة إلى الربط التاريخي مع المحيط، واتباع المنهجية العلمية في كتابة الإطار التاريخي للهوية الوطنية. الناظر في تاريخ الأردن القديم يستطيع التعرف على مفاصل وأحداث تاريخية يمكن البناء عليها لإنتاج السردية التاريخية الحقيقية والتي تحكي قصة الأردن.... وما بين هذه وتلك.... قصص وروايات محكية منها ما هو موثق والآخر ما زال في الذاكرة..... ولكن البعض يضيف أبعادًا أخرى لهذه السردية تتعلق بالدين والهوية العرقية، مثل الروايات التوراتية على سبيل المثال والمتعلقة بخروج بني اسرائيل من مصر عبر الأردن أو ذكر المعارك التي قامت ما بين الإسرائيليين والمؤابيين كما ذكر الملك ميشع المؤابي في نقشه الشهير (مسلة ميشع)، وهنا تبدأ الخلافات لانعدام الضوابط والأطر الناظمة لكتابة السردية، والأمر ضاع ما بين آخذٍ للرواية بشدة والآخر يرفضها تماما، والمهم هو مصداقية الإطار التاريخي للسردية. إن فصل السردية التاريخية الأردنية عن محيطها التاريخي يفقدها الغنى والتفوق الحضاري، لذا كان لا بد من الاتفاق على الخطوط العريضة لهذه السردية خاصة مع ضرورة ربطها مع القرنين التاسع عشر والعشرين حتى لا يكون هناك فجوات في القصة. اضف إلى ذلك أن لكل موقع قصة خرافية كانت أم حقيقية ولكن لا نستطيع تجاهلها، ربما نختلف مع الرواية ولكن من المفيد دائما سردها".

إن الحاجة للسردية التاريخية الأردنية بات ضرورة ومشروع قومي يعزز من الهوية الوطنية ويكافح التطرف والغلو من جهة والدعاية الصهيونية من جهة أخرى، لكن هل ستتبنى الجهات الرسمية الأردنية السردية المقترحة بكامل أبعادها أم ستُبقي بعضها طي الكتمان أو القطع أو البتر حتى لا يفهم أي تلميح أو إشارة بغير ما "يُبتغى منه".

الكتاب المقدس، مصدرًا لأحداثٍ تاريخية

الكتاب المقدس ليس كتابًا تاريخيًا في الأساس، بمعنى أن الهدف الرئيس للكتاب المقدس ليس كتابة التاريخ، ولم يُقْصَد به أن يكون كذلك. لكن الكتاب المقدس قدم الأحداث الكتابية في سياقها المكاني وسياقها الزماني. ولذا في كثير من الأحيان تجد الكتاب المقدس يركز على الحدث وسياقه المكاني دون تحديد السياق التاريخي، أو يجعل السياق التاريخي ثانويًا أو غير مهم، وعليه قد لا نجد في الكتاب المقدس ترتيبًا لتسلسل الأحداث، ومع ذلك فهناك الكثير من الأحداث مُؤَرَّخَة بدقة، تتناسب والقدرات المعرفية لمدوني الكتاب في تلك الفترات أو المراحل التي كُتِب فيها. كما يوجد الكثير من البيانات الدقيقة عن تعاقُب بعض الشخصيات، مثل تسلسل الأنساب وتعاقب القضاة وقوائم الملوك.

والكتاب المقدس ليس كتابًا توثيقيًا، ومع ذلك فهو نفسه جزء من التراث الثقافي المادي للإنسانية، لأنه نص متوارث بين الأجيال المتعاقبة منذ آلاف السنين، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن هذا الكتاب سجل بين طياته الكثير من الأحداث التي تعتبر مصدرًا دينيًا وأثريًا وأدبيًا بالإضافة إلى توثيقه للحياة الاجتماعية والثقافية من عصور غابرة لم تسجل بطريقة أخرى. فالكتاب المقدس بالاضافة لكونه كتابًا مقدسًا إلا أنه يشكل أيضًا مجموعة من المواضيع الأخرى بينها مواضيع تاريخية وهذا كله شكل نقاشًا وجدلا واسعًا لا يمكن حصره بكتاب واحد.

إن الكتاب المقدس نصًا مقدسًا كما يظهر من اسمه، ومكون من مجموعة من الكتب، وضعها ودونها أو تحدث بها لمدون مجموعة من الناس، فهو متعدد المصادر ومتعدد الروافد، وهو سردية لأحداثٍ وقصصٍ قد يراها البعض كلامًا عاديًا، لكنه نص لغوي يحمل القدسية منذ الآف السنين، وهذا النص كُتِب على فترات طويلة، وهذا الأمر جعل النص المقدس لا يخلو من التعقيدات والتشكيك والجدل، حتى بلغ الأمر إلى صعوبة في تحليل النص لسبب وهو أن النص ذاته قد كُتِب في ظروفٍ مجهولة لأحداثٍ معقدة وتداخلات أقرب إلى استحالة التفكيك والرصد، ومع ذلك قدم عدة باحثين ولاهوتيين ومؤرخين وجهة نظرهم بتلك الأمور كلها.

ثم أن هذا الشكل الذي وصل إلينا للكتاب المقدس وهو نتيجة نهائية من سلسلة طويلة من القرارات التي اتخذها أصحاب السلطة الدينية سواء النص اليهودي منه أو النص المسيحي، وأنه اذا أمكن دراسة آخر العمليات التي جرت فإننا نجهل عدد العمليات التي سبقتها، وما دار فيها، وهذه العمليات ليست سهلة الرصد والدراسة من حيث تفكيكها مما جعل تفكيك النص المقدس أو البنية النصية بالغ الصعوبة، مع التأكيد بأن النص كُتِب في زمن مختلف فكريًا وثقافيًا ولغويًا وفلسفيًا واجتماعيًا عن زماننا الحاضر، بل بين السِفر والسِفر تقريبًا، بالتالي عند دراسة الكتاب المقدس والنظر في نصوصه لا بد من مراعاة الزمن الذي كُتِب فيه والظروف المحيطة والتطورات التي وصلت بالنص إلى شكله سواء شكله الأولي أو شكله النهائي.

يتناول الكتاب المقدس في أول خمسة أسفار "القضية اليهودية" وهذه الكتب الخمسة اسمها التوراة أو التُناخ، وهو جزء مقدس لدى اليهود والمسيحيين، ثم كتب الأنبياء، وفيها تسلسل الأنبياء والأحداث، فكان الناس ما قبل يعقوب (إسرائيل) شيء وما بعده شيء آخر. ثم تتناول النصوص موضوع الشعب اليهودي (نسبة إلى يهوذا بن يعقوب والذي سميت الديانة والشعب والمملكة باسمه قبل أن تأخذ اسمًا آخر هو اسم مملكة داؤود) وعلاقته بأرض كنعان، التي سماها بأرض الميعاد بعد منفى طويل للعبرانيين[1] في مصر، واصفًا الكتاب تلك العملية وما جرى فيها من أحداث بعضها بوصفٍ دقيق تفصيلي وبعضها بسرعة ومرور الكرام. ثم يلي التوراة أو التناخ كما قلنا كتب الأنبياء، وهي تشكل معًا

[1] يشير لهذا الاسم الشيخ الطنطاوي في كتابه (بنو إسرائيل في القرآن والسنة): من أسماء بنى إسرائيل: العبريون، والإسرائيليون، واليهود، وقد اختلفت الآراء فى سبب تسميتهم العبريين أو العبرانيين. فقيل: إنهم سموا بالعبريين نسبة إلى «إبراهيم» نفسه، فقد ذُكِرَ فى سفر التكوين باسم «إبرام» لأنه عبر نهر الفرات وأنهارا أخرى. وقيل: إنهم سموا بالعبريين نسبة إلى «عِبْر» وهو الجد الخامس لإبراهيم ـ عليه السلام. بينا يرى البعض بأن كلمة عبرى ترجع إلى الموطن الأصلى لبنى إسرائيل، وذلك أنهم كانوا فى الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بماشيتها للبحث عن الماء والمرعى، فكلمة عبرى مثل كلمة بدوى، أى: ساكن الصحراء أو البادية، وقد كانت الأمم يسمون بنى إسرائيل: بالعبريين، لعلاقتهم بالصحراء، وليميزوهم عن أهل العمران.
وقد رجح بعض العلماء ومنهم العالمان السريانيان «ابن الصليبي» المتوفى سنة 1171م، و«ابن العبري» المتوفى سنة 1286م، الرأى الأول، وهو: أن التسمية ناتجة عن عبور إبراهيم ـ عليه السلام ـ نهر الفرات، وأيد ابن العيرى قوله بالترجمة اليونانية «أكويلا» التى تترجم «العبراني» بـ«المجتاز» أو العابر، فى إشارة إلى عبور إبراهيم نهر الفرات، ومما يؤكد هذا الرأي ـ أيضا ـ ما جاء فى «سفر يشوع»: (هكذا قال الرب إله إسرائيل فى عَبْر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور، وعبدوا آلهة أخرى، فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهر، وسيرته فى جميع أرض كنعان).

العهد القديم ثم يأتي بعدها العهد الجديد وسنأتي بالتفصيل على هذه الجزئية وما يرتبط بها تاريخيًا في حينه.

ما ورد تاريخيًا في الكتاب المقدس يعتبر سردية تاريخية – أردنا ذلك أم لم نرد- تضم شخصيات ومواقع وأحداث في أوقاتٍ محددة. وهذا الرأي رأيًا أدبيًا بغض النظر وافق عليه رجال الدين أم رفضوه! لكن النص الوارد في الكتاب المقدس مقبول لدى البعض ومرفوض لدى البعض الآخر سواء كان الرفض قائم لأسباب سياسية أو دينية أو غيرها.

إن الجدل الذي يقع في النص المفترض للسردية الدينية خلق أزمة لدى الجهات المعنية بهذه السردية، ومتى وقع الجدل في النص فالتشكيك يطال كل شي. بل وصل الأمر في البعض بالتشكيك في وجود اليهود أنفسهم، وأنهم جماعات ظهرت متأخرة، والبعض لم ينكر وجود اليهود لكنهم شككوا بوجودهم في هذه المنطقة، فمرة يقولون أن مكان استقرارهم مجهول وبعضهم الآخر يصر أن مكان استقرارهم جنوب ووسط الجزيرة العربية وتحديدًا في اليمن. لا بل أن الدارج لدى الفئة المشككة بالوجود اليهودي أصلا يرى أن الكتاب المقدس نص مشكوك في صحته، ووقع عليه التحريف! ويشير بعضهم أن الكتاب المقدس من مصادر مختلفة ومتباعدة زمنيًا، ويسوق هؤلاء الكثير من الحجج أو الدلائل أو التفسيرات التي تؤيد فكرة أن الكتاب المقدس قد تعرض في زمنٍ ما للتغيير، وأنه طالما وجد الشك في النص فإن كل ما يدور في النص أمر غير مقبول بالتالي لا يجوز – حسب رأيهم- الأخذ بالجزء ولا حتى بالكل، فأي شيء يؤكد صحة جزئية بسيطة من الكتاب المقدس مرفوض وأي شيء يشكك بجزئية بسيطة من الكتاب المقدس يعتبر دليل قاطع على صحة القول بأن الكتاب المقدس نص محرف وغير معتد به على حسب رأيهم.

إن هذه الجدلية الدينية خُلقت على استيحاء قبل قرون طويلة، وتطورت بعد "وعد بلفور" المشؤوم إلى جدلية سياسية حول "القضية الفلسطينية" واختلطت الأمور الدينية بالأمور السياسية بالأمور العلمية والبحثية، فتشكل لدينا نوع جديد من الجدل اسمه "جدل الوجود اليهودي في المنطقة" ووصل هذا الجدل ذروته حين

أخذ علماء الآثار سميوا بالتوراتيين أو الكتابيين بالبحث عن الآثار التي تؤكد نصوصًا بحد ذاتها وصولا لأحقية اليهود في هذه المنطقة! بينما قابلهم آخرين من علماء آثار عرب ورجال دين من غير اليهود وسياسيين ومؤرخين يرفضون هذه الانتقائية، ووصل الأمر ببعضهم برفض النص الكتابي جملةً وتفصيلا لإنكار أي أحقية لليهود في المنطقة، متناسين أن الوحي الإلهي عملية مستمرة وأن التشكيك بجزئية منها أو محاولة قطعها يعتبر "قطعًا" و "تحريفًا" بحد ذاته، ويطال كل ما بعد المُشكك به.

لكن ماذا عن الكتاب المقدس؟ كيف يمكن خلق سياحة دينية دون دليل مكتوب أو أثر ملموس؟

إذا سلمنا جدلا بأن النص المكتوب لا ينفع كدليل على حدثٍ مرتبط بمكان وزمان فإن الأثر المادي يقطع الشك باليقين. لكن السؤال هنا: ماذا مثّل أحدهم في وقته؟ ماذا شكل في نظر جماعته؟ ماذا استخدم هذا الشخص أو الجماعة التي ينتسب إليها من أدواتٍ ملموسة لنقول أن هذا الأثر يعود للشخصية الفلانية أو لجماعة كان يعيش بينهم ووسطهم، أو كان هذا الشخص قائدهم على هذه المجموعة أو شيء من هذا القبيل، فعلى سبيل المثال لا الحصر: إن موسى أعظم أنبياء العهد القديم وأعظم أنبياء اليهود، وهو نبي عظيم أيضًا عند المسيحيين وعند المسلمين، ولكن لا أثر مادي يؤكد وجوده! كل ما نعرفه عن نبي الله موسى ورد إما في الكتاب المقدس أو في القرآن الكريم أو في كتاباتٍ متأخرة لأتباع الديانات. بالتالي فإن تلك المصادر هي المرجع الوحيد عن هذا النبي الكريم حتى هذا التاريخ، وقس على ذلك الكثير من الأنبياء. فكيف مثلا ننسب المقام في جبل نيبو له، وكيف عرفنا أن هذا الجبل بالتحديد هو جبل نيبو؟

إن هذه الأسئلة مطروحة لكي نعرف أن الكثير من المواقع الدينية في العالم ومن مختلف الديانات قد لا تعود بالضرورة لتاريخ تشكل العقيدة أو الديانة أو... بل أن الكثير منها نُسِب لأحد ما بُني عليه مقام أو مبنى ديني في وقت متأخر، واستند لرأي أو شهاداتٍ أو إشاراتٍ متأخرة لبضع سنوات أو بضع عقود أو حتى قرون... ومنها العديد من المواقع الدينية المسيحية، تلك التي كُشف فيها عن

كنائس بيزنطية وأرضياتٍ فسيفسائية تؤكد أن هذا الموقع كان لنبي أو بار من أنبياء الله من العهد القديم.

يؤمن اليهود بجزئية من الكتاب المقدس كما قلنا سابقًا بينما يؤمن المسيحيون بكامل الكتاب المقدس، بينما يعتقد المسلمون أن الكتاب المقدس تم إيقاع التحريف عليه. واذا كان هدف الكتاب هذا تسليط الضوء على السردية، فلن يدخل هذا الكتاب بالجدل الديني وما يدور حوله، لكن يهمنا هنا ماذا أثر هذا الإيمان في السردية نفسها، وأثرها على السياحة الدينية حتى العهد القريب.

لا بد هنا من أن نُشير لنقطة مهمة ألا وهي أن من أهم التأثيرات على السردية التاريخية هو عدم الاهتمام الرسمي بالمواقع الأثرية والتاريخية التي جرت فيها الأحداث الكتابية، رافقه رفض شعبي لأي رواية دينية لا تتناسب مع الرأي المحلي، وحتى أحيانًا مع الأساطير الشعبية ذاتها. لكن بدأت هذه الفكرة الرسمية تتغير مؤخرًا بالانفتاح نحو تطوير وتنمية مواقع "الحج المسيحي" وتطويرها لاستقبال الحجاج المسيحيين، لكن بقيت مشكلة سردية الموقع المنوي تطويره! لماذا؟ لأن المطلوب سردية على المقاس، لا سردية على الحقائق أو النص.

كيف ومن سيكتب السردية؟ مؤرخون؟ آثاريون؟ روائيون؟ رجال دين؟ سياسيون؟ أم بعض من كل هؤلاء؟

هل ستتناسب السردية مع المعتقد الديني المسيحي من جهة؟ وإلا ما هي الأساس الذي ستبنى عليه فكرة وتسويق مواقع الحج المسيحي؟ أم تترك هذه لضربات الحظ ؟

وهل سيكون هذا السرد مقبولا إسلاميًا؟

هل ستكون سردية تتناسب والواقع السياسي في منطقتنا في ظل استمرار الاحتلال الصهيوني لفلسطين؟

أم ستكون سردية مشذبة ومقصوصة؟ لتتناسب مع كل الاطراف وهذا فعليًا ونظريًا أمر غير ممكن، ويشكل سردية غير دقيقة! بل مشوهة وغير منطقية.

لعل الأمر شديد الحساسية وشديد التعقيد لدرجة أن لا أحد يريد لهذه السردية أن تولد. الكل يعرف السردية التي تناسبه ويكتفي بها، معتبرًا أن ما يخالفه خطأ، وما لا يناسبه ضلال! ووسط هذه "الميمعة" و"الجدل" يقع السائح والزائر أيّ كان هدفه وتوجهه من الزيارة، فريسة سردية مشوهة، أو صمتٌ مطبق من قبل الدليل السياحي.

هذا الكتاب وإن أشار لهذه الجدلية، لكنني حاولت أن أقدم السرديتين رغم تناقضهما أحيانًا، للتأكيد على البناء العلمي والدقيق للسردية الدينية الأردنية المقدمة في هذا الكتاب.

علم السرد

السّردُ في اللّغةِ أي قَرَأهُ بالتّتابع، وسَرَدَ وقائع الحادثةِ أي ذكرها كما حدثت حسب تسلسلها، والسّردية مصدر صناعي من سَرْد، أي المُباشرة في الكتابةِ والتتابع في الحكايةِ أو الرّوايةِ.

والسّردُ (Narratology) علمٌ يهتم بدراسة الأجناس، ويتفرع منه القصة والرّواية والمقامة وغيرها. والسردُ إما حقيقي قائمٌ على وقائع ملموسة، أو أسطورة وخرافة، وقد يتداخل كلاهما معًا.

قصةُ المكان أو السّردية الأثريّة (Archaeological Narrative) أو السّردية التاريخية (Historical Narrative) : هي كتابةُ الحدثِ المرتبطِ بالمكان، أي أنَّ المكان هو العنصر الرئيس في كتابة الحدث. ولعلَّ مفهوم قصة المكان محدود في نظرته، تمامًا كمفهوم تفسير الموقع، مقابل مفهوم السّردية الأثريّة للموقع والتي يطلق عليها البعض السّردية التاريخية أو الرّواية التاريخية؛ فالسّردية التاريخية مفهوم يعتمد السّرد القائم على ما روي عن الكل عبر التاريخ دون إهمال المكان ذاته، بينما التّفسير قد يدل فقط على استخدامات الموقع لذا فهو مفهوم ضيق ومحدود أيضًا، بينما السّردية الأثريّة تعتمد على العناصر الملموسة المنقولة وغير المنقولة في الموقع أو المكان المُنقب فيه لعددٍ من المواسم.

بمعنى آخر فالفرق بين وصف المكان وقصة المكان تقوم كالتالي: وصف المكان هو شرح موجودات المكان المحدود بناءً على اللقى الأثرية أو الآثار غير المنقولة، بينما قصة المكان هو ذكر الأحداث التي جرت في المكان وربطها مع المكونات الأخرى وهي الآثار، والشخصيات، والتاريخ ثم الخروج بالقصة.

إنَّ الهدفَ من كتابةِ أيّ من المفاهيمِ المذكورة آنفًا هو تقديم المكان المحدود أو الواسع في صورةٍ طبق الأصلِ قدر المستطاع عن الحدث في زمانه، حتى يتمكن الزائر أو السّائح من الفهم أو الاستمتاع أو كليهما معًا، فتجربة السائح ليست

تجربة ثقافية فقط بل تمتد لتكون تجربة قائمة على الاستمتاع بما تقدمه الرّواية في مواقع التراث الثقافي[2].

السّردية الأثريّة لا تعني أبدًا كتابة رواية من تأليف راويها عن المكان. كما أنها لا تعني سردية وهمية. حتى مفهوم قصة المكان على محدوديته لا يعني سردية عبثية تكتب بمزاجٍ أو خيال، ولا هي قائمة على تسويق غير صحيح أو مبالغ به أو مقصوص من قِيمة المكان وقِيَمه. السّردية الأثريّة في المختصر هي كتابة الحدث المذكور في المصادر والمراجع عن موقع ما كبير أو صغير لزمن ما طويل أو قصير لشخصية واحدة أو مجموعة من الشّخصيات أو قبيلة أو عشيرة أو قومية تجمع فيما بينها خصائص دينية أو عرقية أو قرابة دم أو كلها جميعًا ضمن ما وجد في المكان من مكتشفاتٍ أثريةٍ ملموسةٍ سواء كانت منقولة أو غير منقولة.

هناك عدةُ مدارس في موضوع كتابةِ السّرديةِ الأثريّةِ، فبعض المدارس تميل إلى كتابةِ السّرديةِ كاملة بجوانبها الأثرية والتاريخية والدّينية والشّعبية وغيرها وذلك بأسلوبٍ علمي رصين يستند على مصادر ومراجع واكتشافات أثرية وينتهي بمجموعة من الاستنتاجات والفرضيات. أما المدرسة المقابلة فتميل إلى كتابة السّردية بجانبها الأثري فقط، ولأن التنقيب والدّراسات الأثريّة مستمرة ولا

---

[2] التراث (Heritage) بشكل عام هو ما ورثناه من الأجداد والآباء من أشياء ملموسة كالبيوت والمعابد والمعالم والملابس والمنتجات والعقائد والعلوم والآداب والفنون المكتوبة أو المرسومة أو المنقوشة أو المعبر عنها بشكل ملموس...إلخ، كذلك مثيلاتها غير الملموسة مثل العادات والتقاليد والقيم والعلوم والآداب الشفهية والفنون غير المكتوبة -كالرقص مثلا- والفكر والعقائد المتناقلة شفهيًا وغيرها. ويُعرف التراث أيضًا بأنه حضور الماضي الذي انتهى، وقد نعرفه أيضاً بأنه إنتاج ملموس أو غير ملموس خلال فترة زمنية في الماضي وتفصلها عن وقتنا الحاضر مسافة زمنية تشكلت خلالها هوة حضارية وتغير كبير.

والتراث الإنساني (Human Heritage) هو كل جهد أو عمل أو فكر...إلخ، قام به البشر منذ بداية الخليقة حتى الآن، وعندما نقول "كل" فهذا يشمل كل شيء من ابتداع البشر. أما التراث الثقافي (Cultural Heritage) فهو ما خلفه البشر من أعمال ملموسة والمصنفة تحت بند آثار وأيضًا أعمال غير ملموسة مثل العادات والتقاليد والقيم وما يندرج تحتها من أشياء غير مكتوبة. إذا كلا التعريفين (التراث الإنساني والتراث الثقافي) يصلحان في الإشارة لجهد البشر عبر العصور وكلاهما يضمان في مفهومهما مفاهيم أقل شمولية مثل الحضارة والمدنية والفكر ...إلخ.

بناءً على ما سبق يمكن أن نقول أن التراث يقدم لنا أسلوب حياة، لكن هل يصلح التراث للحياة؟ هنا يبرز الفرق بين مصطلحين فكريين)إعادة إحياء التراث *(Heritage Revival و(عيش التراث)، فالفكر الحديث يبحث عن طرق لإعادة إحياء التراث، فالعالم يتطور ويتقدم، فلا يمكن العودة للماضي إلا لإبراز تقدم البشر ولإظهار كيف عاش الأجداد، لذا فهو يصلح ليكون عبرة ونصيحة ودروس مستفادة ومتراكمة يُبنى عليها بشكل عام، فالتراث قد لا يكون في أجزاء كبيرة منه صالحًا لزماننا هذا أو في المستقبل لأن بعض التراث أصبح مع الزمن غير صالح و/ أو غير مقبول، فعلى سبيل المثال لا الحصر كان شراء العبد من التراث في الحضارات السابقة أما اليوم فهو أمر مرفوض وضد الإنسانية. ثم أن التراث يُعبر عن هوية الأمم، وحقوقها ووجودها وانتمائها، لذا فالتراث مهم للشعوب الأصلية (Indigenous Peoples) وهو أحد أركان الترافع أمام محكمة العدل الدولية والمحاكم الأخرى فيما يتعلق بحقوق الشعوب الواقعة تحت الإحتلال/ الأراضي المحتلة (Occupied Lands).

تكشف كل جوانب السّردية فإن هذه المدرسة حذرة جدًا في كتابة السّردية، واذا ما كتبتها فإنّ الدراسة في الأغلب غير مكتملة وتميل إلى طرح الأسئلة وذكر المكتشفات الأثرية دون الوصول إلى نتائج وفرضيات واسعة. في المقابل هناك مدرسة تميل إلى كتابة قصة المكان فقط بكل ما فيها من نواقص وسلبيات.

من أشهر كُتّاب السردية التاريخية بول ريكور (1913—2005) وهو فيلسوف وعالم إنسانيات فرنسي ومن أشهر ما عبر عنه قوله بأن التجربة الإنسانية في الوجود كما يعيشها المرء في تاريخه هي تجربة زمنية. وإن الزمن الإنساني هو زمن سردي. من هنا، فإن كل كاتب في السردية هو كاتب في الواقع الزمني للتجربة الإنسانية. ومن أشهر مقولاته: "أخذ مسافة بيننا وبين ثقافتنا شرط ضروري لفهم أي تجربة إنسانية".

أما وظيفة السّاردِ فتنقسمُ إلى عدةِ أقسامٍ؛ فهو إما مُفسر أو مُقَيّم أو سارد للوقائع دون أي تدخل من الكاتب.

التحقق في علم مادة السرد

سردية الأحداث التاريخية تطلق أيضًا على الدراسات التي تتناول دلائل حقيقة حول وجود أشخاص أو وقوع أحداث معينة، بمعنى آخر التحقق من اعتبار هؤلاء الأشخاص أو الأحداث جزءًا حقيقيًا من التاريخ، وليس خرافة أو أسطورة أو خيال، وبالتالي فهي تركز على الحقائق المجردة حول التاريخ، كالتمحص والأمعان والدقة وموثوقية المصادر وواقعية الحدث.

ترتبط مسألة التحقق هذه ارتباطًا وثيقًا بممارسات ومنهجيات البحث التاريخي لتحليل موثوقية المصادر الأولية والأدلة الأخرى.

لكن متى بدأت هذا القانونية بالظهور؟ لنأخذ مثال كما ورد في تفسيرٍ منطقي لأحد علماء الكتاب المقدس:

عندما بدأ النبي موسى يكتب أسفار التوراة الخمسة – مع أن بعض العلماء يشككون بأنه هو شخصيًا كتب الأسفار الخمسة أو الجزء الأخير منها - لم يتكلم أحد عن لا معايير قانونية ولا غيرها، لكن الشعب أخذوا بها واستلموه بدون نقاش ولا معايير ولا غيره، وبعد موسى جاء يشوع وأيضا كان مؤيد بالمعجزات وأيضا كتب سفر يشوع بإرشاد الروح القدس وأضاف اليهود كتابه مباشرة إلى الكتاب المقدس. ثم بعد هذا يأتي صموئيل وكتب القضاة وراعوث والجزء الأول من صموئيل. ثم يأتي بعده ناثان النبي وجاد الرائي ويكملا صموئيل، والشعب حينها أضاف هذه الأسفار إلى الكتاب المقدس ولم يتكلم أحد عن معايير قانونية لأي سفر أو أي تساؤل عن وحيهم. ثم يأتي بعدهم داود[3] النبي ويضيف سفر المزامير وبدون نقاش تم قبوله والترنم به في الهيكل بواسطة 4000 مرنم. ثم سليمان الذي كتب الأمثال والجامعة ونشيد الانشاد (والحكمة) ثم بعد هذا يأتي أشعياء النبي وعوبديا النبي وعاموس النبي ويونان النبي وهوشع النبي وميخا النبي ويوئيل النبي وناحوم النبي وصفنيا النبي وكلهم تم الأخذ بما كتبوه، ثم جاء

[3] هناك من قال بأن اسم داود سواء كتب بواو أو بواوين فكل ذلك صواب.
"

السبي الذي كان كارثة لليهود، وقد سِيقَ المسبيين من اليهودية إلى بلاد ما بين النهرين مُقيدين بسلاسل، وحمل بعضًا منهم ما استطاع حمله من بعض الأسفار، ولأن في هذا الزمان كانت الأسفار تكتب على الرقوق المصنوعة من جلد الحيوان فقد كانت ثقيلة وطويلة تلف على قطعتين خشبيتين، فسفر اشعياء لوحده كان ثلاث رقوق كبيرة يحتاج رجل قوي ليحمله، ولهذا لم يستطيعوا حمل كل شيء فاضطروا إلى دفن كتبهم، وأثناء السبي كتبت بعض الأسفار مثل حزقيال النبي ودنيال النبي بتتمته وحبقوق النبي وحجي النبي وزكريا النبي بالإضافة إلى طوبيا ويهوديت واستير بتتمته، ولكن عند الرجوع من السبي على مراحل بدأ عزرا النبي يجمع كل هذا، ولكن لم تكن كل الأسفار التي دفنت ظهرت، ولا تلك التي كتبت في السبي عادت، فجمع عزرا الكاتب المقدس، وأيضا كتب أخبار الأيام وعزرا وكتب معه نحميا وملاخي، ثم بعد عزرا ظهرت ورجعت بقية الأسفار التي لم يكن عليها خلاف وأيضا كتب يشوع بن سيراخ ولم يكن عليه أي خلاف ولا نقاش ولم يتساءل أحد عن لا معايير ولا غيره، وكتب بعد هذا كتب مكابيين الأول والثاني واضيفت للنسخة اليونانية.

ثم في العهد الجديد، بدأت تظهر كتابات وأناجيل، وصل عددها إلى سبعين سفرًا، ولم يكن هناك احتياج لمعرفة إن كان هذا السفر قانوني وذلك دخيل، ثم قام كاهن اسمه ماركيون بوضع كتابٍ مقدس نزع منه كل ما لا يؤيد أفكاره، فأصبح هناك احتياج لوضع قائمة بالأسفار القانونية، نذكر منها:

مجمع هبو Synod of Hippo سنة 393 ميلادية وفيه كان أول تعريف وتحديد كنسي للقانونية التي ضمت أسفار طوبيا إلى المكابيين مع الأسفار كلها في العهد القديم، ومجمع قرطاجنة الأول First Council of Carthage في سنة 397، ومجمع قرطاجنة الثاني Second Council of Carthage سنة 419 ميلادية، ومجمع ترينت Council of Trent سنة 1546م ردًا على حركة الإصلاح البروتستانتية الذين لم يعترفوا بالأسفار القانونية الثانية وهي من طوبيا إلى مكابيين، وأخذ المجمع بقانونية الأسفار كلها من تكوين إلى ملاخي وأيضًا من طوبيا إلى مكابيين وقالوا بالأسفار القانونية الأولى والثانية.

وإن اختصرنا هذه الأحداث كلها فإن الهدف كان وضع حد للمقبول تاريخيًا من الكتاب المقدس ويسبقه الإعتراف بأن هذه الأسفار موحى بها من الروح القدس، والمرفوض من الأسفار والتي احتوت على شيء يُشكك بصحته إما دينيًا أو تاريخيًا.

من هنا ظهر التحقق والقانونية، كما أنه أُعتبر لدى الآخر دليلا على التشكيك بالصحة وتأكيد التحريف.

هذا يقودنا إلى شيء اسمه التحقق من السردية... فلا يمكن فصل الكتاب المقدس كمادة دينية موحى بها ومقبولة لدى اليهود في جزئية منها والمسيحيين في الجزئية الكاملة، من المادة التاريخية التي تؤرخ الأحداث والأنبياء والملوك في سياق مكاني وزماني.

السردية وعلما التاريخ والآثار

يعمل التّاريخ كعلم في مفهوم الأنسنة عبر التاريخ[4]، فهو ليس فقط تسجيلاً للأحداث بمعنى تدوينها كأحداثٍ جوفاء، بل فَهْمُ تلك الأحداث في سياقها وخصوصًا تلك التي رسخت في الذاكرة الإنسانية، وأصبح لها تأثيرًا في حاضرنا ومستقبلنا.

التاريخ علميًا هو دراسة ممنهجة تعتمد على حقائق الماضي، وتتبع حوادثه، وفهم الظروف التي حدثت فيها تلك الحوادث، وتفسيرها بمنطقية وحيادية وعقلانية. ويُطلق على عالم التاريخ لقب باحث (من البحث والاستقصاء) أو المؤرخ (اسم فاعل من أرَّخَ، وهو الشخص الذي يقوم بِتَأْرِيخِ[5] الأَحداث، أي دونها حسب تاريخ وقوعها)، الذي يعمل على إعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه ضمن زمانه ومكانه، وما أحدثه من وعي وتقافةٍ وتأثيرٍ بصورةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرة بما يعكس حياديته في النقل والتفسير.

يرتبطُ علمُ التاريخِ ارتباطًا وثيقًا بعلم الآثارِ الذي هو دراسة البقايا المادية التي خلفها الإنسان، ورغم افتراقهما في نقطةٍ ما في النهج العلمي، والطريقة النقدية في الإرجاع والتأصيل والحكم. ورغم تعدد المرجعيات في تعريف التاريخ اصطلاحًا ولغةً فإن التاريخ يعد ولا يزال مجالا للتأمل والفلسفة والفكر ويخضع لمقارباتٍ يتحكم فيها الإيديولوجيا والمنطق.

والمعلومة التاريخية تقوم على الملاحظة والوصف والتفسير والتحليل والمقارنة، وتكون المعلومة التاريخية أكثر مصداقيةً عندما تؤيدها دلائل أثرية تراثية ملموسة سواء كانت منقولة أو غير منقولة، وبذلك تكون هذه المعلومة موظفة توظيفًا دقيقًا ضمن قواعد وضوابط المنهج العلمي الذي تطور عبر الزمن

---

[4] يعرف التاريخ عادة بأنه جملة من الأحداث التي وقعت في زمن سابق، وأنسنة التاريخ حسب المفكر الجزائري محمد أركون تنطلق من كون التاريخ محوره الإنسان، لأنه جملة من الأحداث والتحولات التي يعيشها ويصنعها، ويكون هو الفاعل الرئيسي فيها.

[5] التأريخ هو كتابة التاريخ أو تدوينه. أو هو دراسة الحالة التي كان عليها التاريخ، أي تاريخ الكتابات التاريخية، بمعنى أنه عندما يُدرس التأريخ، فإنه لا يُدرس أحداث الماضي فقط، بل يتم دراسة التفسيرات المتغيرة لتلك الأحداث في أعمال المؤرخين كل على حدة.

فأخذ في مرحلةٍ ما من هذا التطور جانبًا لغويًا وسرديًا لاعتباره أحد مرتكزات العمل أو الفعل التاريخيين.

والسرد لا يمكن فصله عن التاريخ إن كان سردًا تاريخيًا، فالعلاقة بينهما علاقة امتزاج لا يمكن الفصل بينهما، وبذلك لا يمكن القول أن السردية تنافي التاريخ إذا بحثت فيه، لكن يمكن للآثار نقض حدثٍ ما، -وهو بالمناسبة نادر الحدوث- وإذا وردت في الحدث سردية تبين أنها غير دقيقة، فتعامل السردية كوهمٍ أو خيالٍ لا أكثر.

الفيلسوف والمفكر الفرنسي بول ريكور Paul Ricoeur بحث في كتابٍ له مسألة العلاقة بين الزمان والسرد شارحًا هذه المسألة في الفكر الإنساني بدءًا من أوغسطين (المفكر واللاهوتي الشهير) الذي نظر إلى الحاضر باعتباره ثلاثي الأبعاد. بُعدًا سماه حاضر الماضي، وبُعدًا سماه حاضر الحاضر، وبُعدًا سماه حاضر المستقبل، ثم أرسطو الذي اعتبر الزمان تتابعًا للأفعال السردية وتنظيمًا لها، وصولاً إلى كانط الذي اعتبر الزمان مخططًا لإدراك التصورات في الجهاز العقلي المجرد، فلا وجود للزمان في الخارج بل هو مفهوم متعالٍ في العقل الإنساني، بينما يُشكل الزمان عند هايدغر أفقًا لإدراك الوجود وليس ظاهرة طبيعية كونية.

وحسب ريكور فإن السردية تروي تاريخًا بأسلوبٍ روائي، وبالتالي فهي عملٌ إبداعي حتى ضمن الوقائع والأحداث التي يجري تأريخها، فالسرد حسب ريكور هو القدرة على قول روايةٍ ما من خلال حدثٍ تاريخي ضمن معانٍ ودلالاتٍ وتتابعٍ وتسلسلٍ زمني لعرض الحدث أو الواقعة في قالبٍ قد يكون جزء منه واقعي وقد يكون جزء منه خيالي، ولكن وكما ذكرنا سابقًا الجزء الوهمي من السردية قد يواجه تحفظات وهو ما يؤخذ على أصحاب رواة السردية التاريخية ومنهم الفيلسوف الفرنسي ريكور.

وإذا كان الإنسان هو موضوع التاريخ، فأين مخرجات الإنسان من مادة ملموسة في السردية؟ إن كتابة التاريخ دون أدلةٍ أثرية يجعل النص قابلاً للشك، وأيضًا

المادة الأثرية الملموسة دون سرديةٍ تبقى مادة غير مفهومة ولا واضحة.، لكن مشكلة الأثر أنه يقدم مادة دون سردية في معظم الوقت، والمادة الملموسة تصبح سردية إن وردت فيها أو عليها ما يثبت حدث ما، لكن التحليل الأثري عليه من المآخذ ما لا يمكن حصره هنا، لكن بالمجمل قد يتجه الآثاري إلى تفسيرٍ أو تحليلٍ بعيد عن الواقع أو منافٍ له.

وتأتي السردية بشكل معضلة أو حبكة تنتهي بظهور محور السردية، وهذا الهدف من السردية بحد ذاته: المكان، الزمان، الشخصيات، الحبكة، الفكر، ثم النهاية.

لكن ما الجامع بين السرد والتاريخ؟ الجواب على هذا السؤال هو أن كلا المجالين متكاملين إذ أن كلاهما يعتمد الكلام والعودة للماضي والاسترجاع. إن السرد والتاريخ مزيجٌ من توظيف جديد للإبداع، وللفكر، وللفلسفة، ويظهر هذا الأمر في "الحبكة" أو "العقدة" أو "السر" والذي يفترض أن تظهر بعد تنظيمٍ متسلسل للأحداث من مقدمة وصعود للرواية وصولا للحبكة ثم تفكيكها إلى نهاية حتمية تتوافق والحدث التاريخي.

إن الحياة البشرية تستحق أن تكون مروية من أبسط أحداثها حتى أعقدها، فمثلا قُدمت قصة اختراع العجلة بأسلوبٍ شيق ولا أحد يعلم القصة الحقيقية ومتى وأين حدثت ومن بطل هذا الاختراع العظيم، كذلك اكتشاف النار، وهكذا ممكن كتابة سردية الفخار ونحت الثماثيل كمواد أثرية ملموسة، وسردية الطقوس والعبادات القديمة جدًا كأشياء تراثية غير ملموسة... لكن كلها كُتبت بتحليلٍ من الآثاري وقد تحتمل الصواب أو قد تحتمل الخطأ.

السردية والكتب المقدسة

سبق وذكرنا أن السردية تعتمد على المكان، والمكان هو العنصر الرئيس في كتابة الحدث جنبًا إلى جنب مع الشخصيات التي يتمحور حولها قصة المكان، واذا ما أخذنا المكان كعنصر أولي فسنكون أمام معضلة، وهي أننا نحتاج إلى العودة للتاريخ لمعرفة الاسم القديم للمكان وأيضًا مصادر الاسم ومعناه. هذا اذا كان المكان معروفًا ونستدل منه الأسماء الأخرى له، ولكن أحيانًا نصطدم بأن المكان الذي نريد أن نبني له السردية قد يكوم مجهولا أو غير معروف، وقد يكون غير مكتشف أو ظاهر للعيان في وقت كتابة السردية. أما اسم المكان فيرتبط باللغة، وفي هذا يقول يوسف ضمرة: "إن المشتغلين بهذا الموضوع يقعون في مشكلة أخرى، وهي الحفر في اللغة، وقد وجد ذلك في كتب فراس السواح، وسيد القمني، وكمال صليبي، والشاعر زكريا محمد ، والدكتور فاضل الربيعي.

ومشكلة الحفر في اللغة تتعلق بالبحث عن أصول الكلمات، التي استقرت في السردية الدينية أو التاريخية. ويشجع الباحثون في هذا السياق عملية القلب في اللغة العربية ولهجاتها الكثيرة، وأعني هنا قلب الأحرف. أما المشكلة الأخرى فهي تتعين في وجود أسماء لأماكن وردت في الكتب الدينية كالتوراة والأناجيل، وتبين ـ بالنسبة لغير باحث ـ أنها لا تقع حيث تقول السردية الدينية، وإنما في بلاد أخرى، ما يعني أن الرواية الدينية هنا محرفة أو مزورة أو مغلوطة، وقد برع في ذلك الباحث كمال صليبي، والدكتور فاضل ربيعي".

وعندما يأتي ذكر الرواية الكتابية والتي يسميها البعض خطأً الرواية التوراتية يقعون في أخطاء، فيقول بهذا الصدد ضمرة: "الروايات الدينية التوحيدية استقرت وانتهى الأمر، ولم يعد مجديا البحث في تاريخيتها، سواء كان ذلك لإنكارها أو لإثبات صحتها، لكن ما ينبغي لنا العمل عليه، طالما امتلكنا هذه الأدوات اللغوية، وبعض المسرودات التاريخية، هو أن نحاول تصحيح الرواية التاريخية لا الدينية، فالرواية التاريخية قابلة للتصحيح عندما تتوافر العلامات والدلائل، لغوية كانت أم أركولوجية".

ولا بد هنا من أن نؤكد أن نفي القصص التوراتية أو الكتابية يعني نفي الروايات المقدسة للديانات السماوية الثلاث، أو الجزء المتوافق بينها، واذا كانت هذه العملية أقرب للغباء سواء من حيث البحث عن ما ينكرها، أو يوافقها فقط ،لأغراضٍ دينية، فإن هذه السردية اليدينة تمتلك من القوة والرسوخ ما يجعلها أقوى بكثير من الخلافات حول التحريف أو التزوير لأغراضٍ سياسية أو دينية.

إن الحج في القرن التاسع عشر الميلادي أنصب على الأماكن المقدسة في فلسطين، ولم يكن يهم الحجيج الأوروبي لفلسطين والأراضي المقدسة شيئا يتعلق بأرض فلسطين أو بمن فيها، كان جل اهتمامهم هو زيارة الأماكن المقدسة والتبرك فيها، ويحاول بعضهم الوصول لتلك الأماكن المجهولة التي قرأوا عنها في الكتاب المقدس واخذوا يبحثون عنها ومحاولة تحديدها بناءً على ما ورد في الكتاب المقدس، وترك هؤلاء الرحالة عشرات الكتب والتقارير التي رسموا فيها صورة لفلسطين تلائم والفكرة الغربية، والتي أصبحت لاحقًا مادة تعتمد عليها الحركة الصهيونية، ولكن بعض هؤلاء الحجاج لم يكونوا سوى مجموعة من اللصوص والسراق والجواسيس، وكانوا ذراع تلك الدول لتحقيق أهدافها الاستعمارية، وبالتالي لم يكن جميعهم من الباحثين عن تلك المواقع لتأكيد حق اليهود في فلسطين المحتلة.

ومن الظلم ربط علم الآثار منذ تأسيسه في القرن التاسع عشر بأجندات سياسية دينية، وأن هذا العلم استخدم لإعادة كتابة الروايات التاريخية بناء على المصادر الدينية التي يروجون لها لدعم أغراض سياسية. فالكتاب المقدس كان موجودًا قبل كل ذلك، وعليه فعلم الآثار وجد كعلم، والتاريخ وجد كعلم، أما كيفية استخدامهما ومصادر البحث فتعود للشخص المستخدم هذا العلم وليس للعلم ذاته، دون أن ننكر أن بعض واضعي أسس علماء الآثار وضع نصب عينيه الرواية التوراتية أو الكتابية دون غيرها.

واذا نجح بعض العلماء في تأسيس وتوسيع ونشر علم الآثار التوراتية لدعم حق اليهود فيما يسمى دولة إسرائيل، مستخدمين "الرواية التاريخية التوراتية" فإن الجهات المقابلة لم تستطع حتى هذه اللحظة أن تقدم رواية أو سردية مناقضة أو

منافسة أو مقابلة لرواية علم اللآثار التوراتية، وما يفند هذا السردية جملة وتفصيلا؛ فعادة يصطدم الرافض للرواية التوراتية بأن أنكار وجود موسى مثلا هو إنكار لعقيدته الدينية، لذا يلتزم الصمت، أو في أقصى تقدير أن يروج بأن الرواية التوراتية لا يوجد ما يؤكد صحتها.

اذا نحن أمام فرضية يقابلها فرضية أخرى!

لنأخذ هذه الفرضية كمثال:

وجدت عملة أموية قرب كنيسة أثرية أثناء عملية الحفر لمسار ديني، فقام قائد الفريق الأثري بتقديم تفسير وهو أن وجود عملة أموية قرب هذه الكنيسة يُفسر بأنه دلالة لحالة التسامح الديني في الموقع، بينما قام نفس الشخص بالإدعاء بأن هناك صناعة لرواية اسطورية في استخدام اكتشافات أثرية في الأردن وفلسطين المحتلة ونسبها لأنبياء، وفي تفسير اللقى الأثرية المكتشفة بأنها تعود لفترات محددة! في الواقع أن هذا الشخص قدم تفسيره فيما يتعلق بالعملة وقدم تفسيره فيما يتعلق بصناعة الرواية، ولا يعني أن تفسيره صحيح! أنه فرضية وتبقى فرضية إلى أن يكشف النقاب عن لقى أثرية أخرى تدعم رأيه أو تنفيه.

لكن السؤال المطروح: هل يستطيع عالم الآثار أن يفسر موقع أو لقى أثرية دون الرجوع لنصوصٍ تاريخية؟ نترك الجواب للقارئ الكريم.

يحاول الكثير من الآثاريين العرب الدعوة إلى التحرر من السردية التوراتية وعدم استخدام الكتاب المقدس كمصدر، معللين ذلك بإشكالية النص الديني عند العرب! فالسردية الدينية عندهم غير مقبولة ما قبل الإسلام، فالنص التوراتي، وفق التراث الإسلامي نص مشكوك فيه، ويقوم الاعتقاد بأنه نصٌ محرف، ثم أن المسلمين يلقبون "توراة" لكامل "العهد القديم" لكن التوراة هي الكتب الخمسة الأولى لموسى.

لكن رغم محاولات تفكيك الكتاب المقدس من قبل أغلب الآثاريين العرب إلى نصوص، منها "النص الديني" و"النص الأسطوري" و"النص التاريخي"، لكن

فعليًا تصطدم فكرة التفكيك بالعقائد الإسلامية فموسى وداوود وسليمان ويحيى وعيسى أنبياء ذكروا في القرآن وجميعهم من اليهود، فإذا تفكيك النص دون أن يخرج المسلم من عقائده مسألة معتقد، ولكنها مسألة شائكة، لذلك يحاول الآثاري العربي (الأغلب) أن يفكك العهد القديم بما لا ينفي إيمانه بعقائده التي تؤمن بوجود هؤلاء جميعًا دون أن يخبر أين وجودوا بعد مصر!

ولذا عند كتابة السردية التاريخية، يقف العربي أمام نصٍ ديني هو "العهد القديم" فهو مطالب بالتحرر من النص التوراتي، دون أن يجد أمامه نصًا يقابله. ويدعم الفكرة التي يحملها الآثاري العربي بأن كل الحفريات التي جرت في فلسطين من قبل علماء الآثار التوراتيين حتى الآن لم تأت بشيء يؤيد وجود أنبياء أو ملوك العهد القديم وممالكهم.

هنا لا بد أن أُشير لمقولة الدكتور زيدان كفافي حين قال: "والمدينة، أي مدينة، هي في الأساس المكان والسكان. ومن هنا، فإن القدس عُمرت بالناس منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى الآن، فسكنها وثنيون وأصحاب الديانات السماوية الثلاث... وهم وبنظرنا، وبغض النظر عن دياناتهم، مقدسيون... وبهذا، فإننا عندما نتحدث عن مملكة إسرائيل، ومن بعدها السامرة ويهوذا، فإننا نتحدث عن إرثٍ فلسطيني لا يربطه باليهود الصهاينة أي رابط".

مقدمة في الكتاب المقدس

الكتاب المقدس هو كتاب مكون من عدة كتب (أسفار)، كتبه عدد من الأشخاص في مدة طويلة جدًا. هو كتاب مقدس لدى اليهود (في الجزئية التي يؤمنون بها) والمسيحيين (في النص الكامل)، كما أنه أكثر كتاب تداولا وأكثر كتاب بيعًا حول العالم، وأكثر كتاب تم ترجمته لعدد كبير من اللغات، ناهيك أنه الكتاب الأكثر منعًا في العالم.

واذا ما أردنا ربط الأحداث الكتابية بالعصور فيمكن أن نعبر عن هذا الأمر بهذا الجدول:

العصر	الفترة	أهم حدث
العصر الحجري القديم	2.5 مليون سنة – 14000 ق. م	-
العصر الحجري الوسيط	14000 – 8000 ق.م	-
العصر الحجري الحديث	8000 ق.م – 3500 ق.م	-
العصر النحاسي	3500 ق.م – 2000 ق.م	ابراهيم ونسله
العصر البرونزي	2000 ق.م – 1200 ق.م	خروج بني اسرائيل من مصر. وصول الفلسطنيون من جزيرة كريت إلى سواحل فلسطين في نهاية العصر البرونزي.
العصر الحديدي الأول	1200 ق.م – 1000 ق.م	المملكة الموحدة.

العصر الحديدي الثاني	1000ق.م – 550 ق.م	ابتداء من 1000 ق.م.، تشكلت كيانات جديدة، وتجزّأت بلاد الشام إلى دول صغيرة، من ضمنها المملكتان الآرامية والفينيقية، إضافة إلى إسرائيل ويهوذا في فلسطين والعماليق والفلسطنيين. أما في الأردن، فتقاسمت ممالك عمّون ومؤاب وأدوم الأراضي المحددة بالأنهار الرئيسية (وادي الزرقاء ووادي الموجب ووادي الحسا). السبي الأشوري السبي البابلي.
العصر الحديدي الثالث	550 ق.م – 332 ق.م	عزرا الكاهن جمع أسفار التوراة سنة 534 ق.م
السيد المسيح	1-33 م	ظهور النبي يحيى (يوحنا المعمدان – النبي السابق). ظهور السيد المسيح.
الميلادي	70 م – 133 م	تيطس يغزو فلسطين خراب الهيكل

		تدمير أورشليم وبناء مدينة إيليا كابيتولينا (إيلياء بالعربية) مكانها.

ومن الجدير ذكره بأن الفلسطنيين أو الفلستينيون أو الفلستيّون ومفرده فلستي من أرض فلستة، فهم شعب ورد ذكرهم في التوراة في عدة مواقع نذكر منها:

" 32 فَقَطَعَا مِيثَاقًا فِي بِئْرِ سَبْعٍ، ثُمَّ قَامَ أَبِيمَالِكُ وَفِيكُولُ رَئِيسُ جَيْشِهِ وَرَجَعَا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. 33 وَغَرَسَ إِبْرَاهِيمُ أَثْلًا فِي بِئْرِ سَبْعٍ، وَدَعَا هُنَاكَ بِاسْمِ الرَّبِّ الإِلهِ السَّرْمَدِيِّ. 34 وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً" (سفر التكوين الإصحاح 21) كما ذكروا في سفر الخروج فيقول في الإصحاح الخامس عشر: *11 من مثلك بين الالهة يا رب. من مثلك معتزا في القداسة. مخوفا بالتسابيح. صانعا عجائب. 12 تمد يمينك فتبتلعهم الارض 13 ترشد برافتك الشعب الذي فديته تهديه بقوتك الى مسكن قدسك. 14 يسمع الشعوب فيرتعدون. تاخذ الرعدة سكان فلسطين. 15 حينئذ يندهش امراء ادوم. اقوياء مؤاب تاخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان. 16 تقع عليهم الهيبة والرعب. بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر. حتى يعبر شعبك يا رب. حتى يعبر الشعب الذي اقتنيته. 17 تجيء بهم وتغرسهم في جبل ميراثك المكان الذي صنعته يا رب لسكنك. المقدس الذي هياته يداك يا رب*". فيصف سفر الخروج أهل فلسطين من الكنعانيين بكونهم قوم من العماليق الذين حاربهم بنو إسرائيل وانتصروا عليهم بمعجزة. فهم على الوصف من شعوب البحر التي هاجرت من كريت واستقرت في جنوب فلسطين استوطنوا في الجزء الساحلي الجنوبي من أرض كنعان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كما ورد ذكرهم في بردية التاريخ المعروفة أيضًا باسم التاريخ لهيرودوت، حيث أطلق المؤرخ الإغريقي هيرودوت اسم فلسطين السورية في كتبه في القرن السادس قبل الميلاد على عموم المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد الشام. وأصبح هذا الاسم رسميًا في الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني للميلاد، وشاع في اللغات الأوروبية وفي اللغة العربية بصيغة فلسطين.

أما الكتاب المقدس فهناك آراء حول الفترات التي كُتِب فيها:

رأي (1): كُتب معظم العهد القديم بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، أى خلال الفترة الممتدة بين زمن النبيَّين إشعيا وإرميا .

رأي (2): يظنَّ معظم علماء الكتاب المقدس أن غالبية أسفار العهد القديم كُتبت وجُمِعت فى الحقبتين الفارسية والهلّينستية أي من القرن الخامس حتى القرن الثانى قبل الميلاد.

رأي (3): أن عزرا الكاتب/ الكاهن هو من كتب الكثير من أسفار العهد القديم في الفترة بين (465 – 359 قبل الميلاد) ويتفق البروتستنت مع الرأي بأن عزرا جمع أسفار التوراة سنة 534 ق.م

رأي (4): أخذت كتابة أسفار العهد القديم فترات مجهولة وطويلة ومن قبل عدة أشخاص.

أما العهد الجديد فهنالك شبه اجماع بين الباحثين على أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل وأنه دُوّن نحو عام 70 م، أي بعد صعود السيد المسيح إلى السماء بنحو أربعين سنة، يليه إنجيلا متى ولوقا اللذان دوّنا بين عامى 80م وعام 90م وأخيرا إنجيل يوحنا الذى دوّن مع سفر الرؤيا بين الأعوام 100 و110م، بينما كُتبت الرسائل بين 40 م و65 م أولها رسائل القديس بولس.

بالتالي فهذه الوثيقة الدينية الكبيرة كُتبت من قبل العديد من الشخصيات التي ستقوم عليها الكثير من قصص المكان، ومنذ فترة 3500 قبل الميلاد حتى 110 ميلادي.

ولا بد من باب المعرفة أن نقدم للقارئ بعض المصطلحات المهمة فيما يخص الكتاب المقدس:

السِّفْرُ باللغة هو الكتاب المتصف بالضخامة، والجمع أسْفار، واختص هذا الاصطلاح على الكتاب المقدس منذ القدم، فيقال مثلا أسفار موسى أي الكتب

الخمسة الأولى من التوراة. أما الإصحاح والجمع إصحاحات، فهو اصطلاح يطلق على جزء من سفر من الكتاب المقدس، أو أحد تقسيماته، وبمعنى الفصل، وهو دون السِّفر وفوق الفصل، بحيث يتكون السفر من عدّة إصحاحات، والإصحاح يتكون من عدة آيات قد تقل وقد تكثر، وهناك أسفار تحتوي على إصحاحات كثيرة مثل سفر التكوين، أو قليلة جدا قد تصل إلى إصحاح واحد مثل رسالة يهوذا الرسول ورسالة يوحنا الثالثة. ويستخدم مصطلح الاصحاح في الكنائس الشرقية والكنائس البروتستنتية عمومًا، ومصطلح الفصل في الكنائس الكاثوليكية، وكلاهما جائز. كما تستخدم الكنائس التقليدية مسمى آية لوصف جملة، بينما يستخدم البروتستنت لقب عدد إشارة إلى آية محددة برقم.

يقسم الكتاب المقدس حسب المسيحيين إلى عهدين: العهد القديم، والعهد الجديد.

العهد القديم هو كل الأسفار التي كُتبت قبل ميلاد السيد المسيح، والعهد الجديد هو كل ما كُتب بعد ميلاد السيد المسيح.

وتشير كلمة العهد إلى اتفاق، أو ميثاق، أو معاهدة بين طرفين، كما أنها تشير إلى الوصية. وجاءت كلمة عهد في "المصباح المنير": الوصية: يُقال عهد إليه من باب تعب إذا أوصاه، وعهدت إليه بالأمر قدَّمته... والفعل من اثنين، فكل واحد يفعل بصاحبه مثل ما يفعله صاحبه به، فكل واحد في المعنى فاعل ومفعول.

وقد يكون العهد:

أ - بين رجل وآخر، كالعهد الذي قُطع بين إبراهيم وأبيمالك ملك جيرار (تك 21 : 27)، أو بين يعقوب ولابان (تك 31 : 44 - 46)، وكانوا عند قطع العهد يشقُّون ذبيحة نصفين يجوز كل طرف بين شقي هذه الذبيحة، وكأنه يقول: إن خنت هذا العهد ليشقني الله مثل هذه الذبيحة.

ب - بين أمتين أو شعبين، كالعهد بين إسرائيل والجبعونيين[6] (يش 9 : 6 - 16)، أو بين البابليين والزرع الملكي بأورشليم: *"هُوَذَا مَلِكُ بَابِلَ قَدْ جَاءَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَأَخَذَ مَلِكَهَا وَرُؤَسَاءَهَا وَجَاءَ بِهِمْ إِلَيْهِ إِلَى بَابِلَ. وَأَخَذَ مِنَ الزَّرْعِ الْمَلِكِيِّ وَقَطَعَ مَعَهُ عَهْدًا وَأَدْخَلَهُ فِي قَسَمٍ وَأَخَذَ أَقْوِيَاءَ الأَرْضِ. لِتَكُونَ الْمَمْلَكَةُ حَقِيرَةً وَلاَ تَرْتَفِعَ. لِتَحْفَظَ الْعَهْدَ فَتَثْبُتَ"* (حز 17: 11-14).

جـ - بين الله والإنسان، مثل العهد الأول الذي أعطاه الله للإنسان بعد السقوط بأن نسل المرأة يسحق رأس الحيَّة (تك 3 : 15)، والعهد الثاني بعد الطوفان: *"وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ.. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ"* (تك 9 : 9 - 11) وكان علامة العهد الذي أعطاه الله لنوح قوس قزح (تك 5 : 3)، والعهد الثالث مع إبراهيم: *"وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيم وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي.. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ"* (تك 17 : 9، 10) وكانت علامة العهد هيَ الختان، والعهد الرابع جاء مع شعب الله: *"فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ"* (خر 19 : 5، خر 20)، وقال موسى النبي للشعب: *"وَوَاعَدَكَ الرَّبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا كَمَا قَالَ لَكَ وَتَحْفَظَ جَمِيعَ وَصَايَاهُ"* (تث 26 : 18)، وقال الرب: *"مَلْعُونٌ الإِنْسَانُ الَّذِي لاَ يَسْمَعُ كَلاَمَ هذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ آبَاءَكُمْ.. قَائِلًا اسْمَعُوا صَوْتِي وَاعْمَلُوا بِهِ حَسَبَ كُلِّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ فَتَكُونُوا لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلهًا"* (إر 11 : 3، 4)، ودعى الكتاب لوحي الوصايا بلوحي العهد (تث 9 : 11)، كما دُعي التابوت بتابوت العهد (يش 3 : 6)، وأيضًا

[6] جبعون (جيب اليوم) وهي مدينة كنعانية كانت تقع شمال مدينة القدس ذكرت في العهد القديم حيث قام يشوع باحتلالها.

دعى الله ناموسه بالعهد: *"فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً"* (خر 19 : 5) ودعى التوراة بكتاب العهد (خر 24 : 7)، وقطع الله عهدًا مع هارون وبنيه دُعي "عهد ملح" أو "ميثاق ملح" (عد 18 : 19) كما منح الله فينحاس بن العازار بن هارون "عهد سلام" أو "ميثاق سلام" له ولنسله: *"مِيثَاقَ كَهَنُوتٍ أَبَدِيٍّ لأَجْلِ أَنَّهُ غَارَ لإِلهِهِ"* (عد 25 : 13)، وأعطى الله عهده لداود (1أي 28 : 4، مز 89 : 3، 4، 13 : 11 - 18).

جاءت تسمية العهد الجديد في العهد القديم: *"هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا.."* (إر31 : 31 - 33)، وفي العهد الجديد قال السيد المسيح: *"لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا"* (مت 26 : 28، مر 14 : 24، لو 22 : 20، 1كو 11 : 25). كما استخدم بولس المصطلح: *"الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ"* (2كو 3 : 6) *"هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا"* (عب 8 : 8).. *"وَلأَجْلِ هذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ" (عب 9 : 15)* *" إِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ"* (عب 12 : 24)، وسُمي العهد الجديد تمييزًا له عن العهد الأول الذي قطعه الله مع اليهود، كما سُمي العهد الجديد لأنه سيبقى جديدًا على الدوام كقول بولس الرسول: *" فَإِذْ قَالَ جَدِيدًا عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاضْمِحْلاَلِ"* (عب 8 : 13)، و*"بَلْ أُغْلِظَتْ أَذْهَانُهُمْ لأَنَّهُ حَتَّى الْيَوْمِ ذلِكَ الْبُرْقُعُ نَفْسُهُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْعَهْدِ الْعَتِيقِ بَاقٍ"* (2كو 3 : 14) واستخدم "العلامة ترتليان" مصطلح "العهد القديم" في إشارته لأسفار العهد القديم، فقال: "يجب أن يُفهم أن كلمة الله لها حدان بعهدين هما الناموس والإنجيل" ويقول القديس أُغسطينوس: "سُمي العهد القديم قديمًا لأن الخطية التي للإنسان القديم كانت تعمل في الإنسان ولم يقدر حرف الناموس أن يشفيها، فالناموس كشف الخطية دون أن يعالجها. أما العهد الجديد فدُعي جديدًا من أجل عطية روح الله الحي (2كو 3 : 3) الذي نقش الوصية بطريقة جديدة لا في ألواح حجرية بل ألواح قلب لحمية (2كو 3 : 3-9).

لكن يختلف اليهود والمسيحيون في الاعتراف بالكتاب المقدس، فالمسيحيون لا يعترفون بالأسفار التالية عند اليهود:

1 -المشناه: وهي تدوين للتعاليم اليهودية الشفوية، كتبها الحاخام يهوذا هنسي سنة 210 م.

2 -التلمود الأروشليمي والتلمود البابلي: وهي تدوين للشريعة اليهودية الشفوية كُتبت أيضًا بعد الميلاد.

كما أن اليهود فلا يعترفون بكامل العهد الجديد.

اذا الكتب المشتركة هي:

تسعة وثلاثون كتابًا (سفرًا) مشتركة بين اليهود والمسيحيين، يطلق عليها اليهود اسم التناخ والأنبياء، والمسيحيون اسم العهد القديم. مع الأخذ بعين الإعتبار الأسفار القانونية الثانية التي هي قصة أخرى.

ويتكون العهد القديم من مجموعة من الأسفار أولها التوراة التي تؤلف أسفار موسى الخمسة، ثم الأسفار التاريخية وكتب الأنبياء الكبار والصغار وكتب الحكمة. وهناك بعض الاختلافات بين الطوائف في التسمية، وفي الترتيب أو الإعتراف بقانونية بعض الأجزاء، فبعض طوائف اليهود ترفض الاعتراف بغير أسفار موسى الخمسة مثل السامريين، وبعض اليهود أضافوا ما يعرف باسم الأسفار القانونية الثانية والتي قبلها المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس في حين يرفضها يهود فلسطين والمسيحيين البروتستانت.

وبجردة بسيطة:

أولاً: التقسيم اليهودي للتناخ:

يسمي اليهود كتابهم المقدس بالتناخ بينما لا يُطلق هذا اللقب من قبل المسيحيين في الأغلب، مع عدا بعض الطوائف ذات الميول اليهودية، ويعتقد أن أول إشارة لهذا التقسيم تعود إلى يشوع بن سيراخ.

التقسيم الأساسي للكتاب المقدس العبري:

لفظ عبري	المختصر	بالعربية
תורה/توراه	ت	شريعة
נביאים/نبيايم	ن	أنبياء
כתובים/كتوبيم	ك/ خ	كتب

والشريعة هي أسفار التوراة الخمسة وتعتبر أهم وأعظم كتب اليهود. أما الأنبياء فتتضمن الأسفار من يشوع إلى ملاخي. في حين أن الكتوبيم هي النشيد والجامعة والمراثي وسفر أستير وراعوث، وقد فصلوها عن كل العهد القديم وتقرأ في الأعياد. أما اليهود المتأخرين فيعتبرون أن في العهد القديم 24 سفرًا، ولضبط هذا العدد كانوا يعتبرون، سفر صموئيل الأول والثاني سفرًا واحدًا، وملوك أول وثاني سفرًا واحدًا، أخبار الأيام أول وثاني سفرًا واحدًا، وعزرا ونحميا سفرًا واحدًا، والأنبياء الصغار الـ12 من هوشع حتى ملاخي سفرًا واحدًا. أما اليهود في العصور الأولى فقد اعتبروها 22 على عدد حروفهم الأبجدية 22 حرف، فضموا راعوث للقضاة والمراثي لأرميا.

وفيما يلي هذه الأسفار حسب التقسيم المسيحي:

الترتيب	اسم السفر	المختصر	الكاتب وتاريخ تدوينه
1	سفر التكوين	تك	يطلق عليها توراة كتبها موسى أو أحد المقربين منه — 1400 قبل الميلاد
2	سفر الخروج	خر	
3	سفر اللاويين (الأحبار)	لا	
4	سفر العدد	عد	
5	سفر التثنية (تثنية الاشتراع)	تث	
6	سفر يشوع	يش	يشوع — 1350 قبل الميلاد
7	سفر القضاة	قض	صموئيل/ناثان/جاد — 1000-900 قبل الميلاد
8	سفر راعوث	را	
9	سفر صموئيل الاول	1 صم	
10	سفر صموئيل الثاني	2 صم	
11	سفر الملوك الاول	1 مل	أرميا — 600 قبل الميلاد

12	سفر الملوك الثاني	2 مل	
13	سفر أخبار الأيام الأول	1 أخ	عزرا — 450 قبل الميلاد
14	سفر أخبار الأيام الثاني	2 أخ	
15	سفر عزرا	عز	
16	سفر نحميا	نح	
17	سفر أستير	أس	مردخاى — 400 قبل الميلاد
18	سفر أيوب	أي	موسى — 1400 قبل الميلاد
19	المزامير	مز	كتاب مختلفون ولكن معظمه دونه داود –1000 -400 قبل الميلاد
20	سفر الأمثال	أم / مثل	سليمان — 900 قبل الميلاد
21	سفر الجامعة	جا	
22	سفر نشيد الأناشيد	نش	
23	سفر إشعياء	أش	أشعياء – 700 قبل الميلاد
24	سفر إرميا	إر	أرميا — 600 قبل الميلاد
25	سفر مراثي إرميا	مرا	
26	سفر حزقيال	حز	حزقيال – 550 قبل الميلاد
27	سفر دانيال	دا	دانيال — 550 قبل الميلاد
28	سفر هوشع	هو	هوشع – 750 قبل الميلاد
29	سفر يوئيل	يؤ/ يوء/ يوئ	يوئيل — 850 قبل الميلاد
30	سفر عاموس	عا	عاموس – 750 قبل الميلاد
31	سفر عوبديا	عو	عوبديا – 600 قبل الميلاد
32	سفر يونان	يو / يون	يونان – 700 قبل الميلاد
33	سفر ميخا	مي	ميخا – 700 قبل الميلاد

34	سفر ناحوم	نا (ناح) (نحو)	ناحوم — 650 قبل الميلاد
35	سفر حبقوق	حب	حبقوق – 600 قبل الميلاد
36	سفر صفنيا	صف	صفنيا – 650 قبل الميلاد
37	سفر حجي	حج	حجى – 520 قبل الميلاد
38	سفر زكريا	زك	زكريا – 500 قبل الميلاد
39	ملاخي	ملا	ملاخى – 430 قبل الميلاد

وبهذا يكون عدد اصحاحات العهد القديم 929 اصحاحاً. ويطلق على هذه الأسفار أيضًا لقب الأسفار القانونية الأولى. أما الأسفار القانونية الثانية، فيطلق عليها لقب الأبوكريفا Apocrypha وهي كلمة يونانية قديمة بمعنى أشياء تم إخفاؤها، وأصبح لها معنى لاحق إلى الكتب المنحولة. وتمت كتابة معظم أسفار الأبوكريفا على ما يعتقد في 400 سنة قبل الميلاد في زمن ملاخي.

وهذه هي كتب أبوكريفا العهد القديم:

اسم السفر	المختصر	مكانه
طوبيا (طوبيت)	طو	ويأتي في الترتيب بعد سفر نحميا، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
يشوع بن سيراخ	سيراخ	ويأتي بعد سفر الحكمة في الترتيب؛ حيث يعد السفر من الأسفار الشعرية.
باروك (باروخ)	با	وهو يلي سفر المراثي ، ويدخل في تصنيف أسفار الأنبياء.
الحكمة	حك	ويأتي بعد سفر نشيد الإنشاد في الترتيب ؛ حيث يعد السفر من الأسفار الشعرية.
يهوديت	يهو	ويأتي في الترتيب بعد سفر طوبيّا (طوبيت) ، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
المكابيين الأول	1مكا	ويرتب بعد سفر أستير، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
المكابيين الثاني	2مكا	ويرتب بعد سفر المكابيين الثاني ، والسفر يصنف على أنه من الأسفار التاريخية.
تتمة سفر أستير		وهي الأعداد في الإصحاح العاشر من 4 إلى 13 بالإضافة إلى خمسة إصحاحات أخرى كاملة
تتمة سفر دانيال		وهي عبارة عن 67 عدداً تقع بعد العدد 23 من الإصحاح الثالث ويطلق عليها "تسبيحة الفتية القديسين الثلاثة" ، كما تشمل التتمة على الإصحاح الثالث عشر ويحتوي قصة سوسنة العفيفة والإصحاح الرابع عشر ويحتوي على قصَّتيّ الصنم بال والتنين .

هذه الأسفار قبلها الكاثوليك وبعض طوائف الأرثوذكس ورفضها البروتستنت، وهذه بعض أسباب رفض الأسفار القانونية الثانية:

1- يقول البروتستنت أن هذه الأسفار لم تدخل ضمن أسفار العهد القديم التي جمعها عزرا الكاهن عندما جمع أسفار التوراة سنة 534 ق.م.

2- يقول البروتستنت أنها لم ترد ضمن قائمة الأسفار القانونية للتوراة التي أوردها المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" في كتابه.

3- يقول البروتستانت أن اليهود لم يعترفوا بهذه الأسفار خصوصاً وأنها في الغالب كتبت في وقت متأخر بعد عزرا فضلاً عن أن هناك أمور تحمل على الظن أن هذه الأسفار كتبت أساساً باللغة اليونانية التى لم يكن يعرفها اليهود.

4- يقول البروتستانت أن هذة الأسفار لا ترتقي إلى المستوى الروحي لباقي أسفار الكتاب المقدس ولذا فلا يمكن القول أنه موحى بها.

أما الترجمة السبعينية للعهد القديم فهي الترجمة اليونانية التي أجريت في القرن الثالث قبل الميلاد؛ إذ يقال أن بطليموس أراد أن يضم إلى مكتبة الإسكندرية الكتب المقدسة لليهود، والبعض يرى أنه بسبب عدد اليهود الذين لا يعرفون إلاّ العبرية قام اثنان وسبعون من الأحبار بالترجمة. ويرمز لها بعددها اللاتيني LXX أي سبعون.

تعتبر الترجمة السبعينية للعهد القديم أهم أسباب انتشار العهد القديم عالميًا لأنه كان سابقًا كتاب محصور باليهود حتى وقت اتمام هذه الترجمة.

انقسم اليهود إلى قسمين، القسم الأول وهم اليهود العبرانيون الذين عاشوا في فلسطين، والقسم الآخر هو اليهود اليونانيين وهؤلاء عاشوا في الإسكندرية. وكان لكل قسم منهم نسخته من التوراة: اذا لدينا نسختان من التوراة (النسخة العبرية) و(النسخة اليونانية).

وللتنويه فكلمة الحبر (اسم) والجمع أَحْبَارٌ وهو لقب يُطلق على عالم الدين لغير المسلمين، مثل رئيس الكهنة عند اليهود، والأسقف عند المسيحيين. وحبر القوم عالمهم، والحَبْرُ الأَعْظَمُ هو البابا أي رأس الكنيسة الكاثوليكية، وكان لقبًا للإمبراطور الروماني حصرًا وتنازل عنه قسطنطين للبابا الروماني.

أما كتب العهد الجديد فهي:

أولا الأناجيل:

الترتيب	اسم السفر	المختصر	مؤلفه
الأناجيل وعددها 4، أول 3 أناجيل تقريبًا متشابهة في الأسلوب، الإنجيل الرابع مختلف نوعًا ما من حيث الأسلوب الكتابي (يسمى باللاهوتي).			
1	انجيل متى	مت	متى
2	انجيل مرقس	مر	مرقس بناء على ذكريات بطرس
3	انجيل لوقا	لو	لوقا بناء على مقولات بولس
4	انجيل يوحنا	يو	يوحنا بن زبدى ويقال له الحبيب أيضًا

ثانيا الاعمال والرسائل والرؤيا:

5	سفر اعمال الرسل	اع / رسل	لوقا
الرسائل البوليسية نسبة إلى بولس			
6	رسالة الى اهل رومية (روما)	روم	بولس
7	رسالة الاولى الى اهل كورنثوس (قورنتوس)	1 كو	بولس
8	رسالة الثانية الى اهل كورنثوس (قورنتوس)	2 كو	بولس
9	رسالة الى اهل غلاطية	غلا	بولس
10	رسالة الى اهل افسس	اف	بولس
11	رسالة الى اهل فيلبي	في	بولس
12	رسالة الى اهل كولوسي (قولوسي)	كو (قو) قول	بولس
13	رسالة الاولى الى اهل تسالونيكي	1 تس	بولس
14	رسالة الثانية الى اهل تسالونيكي	2 تس	بولس
15	رسالة الاولى الى تيموثاوس (طيموثاوس)	1 تيم (1 طيم)	بولس
16	رسالة الثانية الى تيموثاوس (طيموثاوس)	2 تيم (2 طيم)	بولس
17	رسالة الى تيطس	تي	بولس
18	رسالة الى فليمون (فليبي)	فل	بولس

19	الرسالة الى العبرانيين	عب	بولس
رسائل الكاثلكون (العامة) كتبها رسل آخرين			
20	رسالة يعقوب	يع	يعقوب
21	رسالة بطرس الرسول الاولى	1 بط	بطرس
22	رسالة بطرس الرسول الثانية	2 بط	بطرس
23	رسالة يوحنا الرسول الاولى	1 يو	يوحنا
24	رسالة يوحنا الرسول الثانية	2 يو	يوحنا
25	رسالة يوحنا الرسول الثالثة	3 يو	يوحنا
26	رسالة يهوذا	يه	يهوذا تداوس
27	رؤيا يوحنا اللاهوتي	رؤ	يوحنا

ملوك وأنبياء العهد القديم

سنناقش في هذا الباب الأمور التالية:

1- أنبياء وملوك العهد القديم حتى آخر نبي قبل المسيح، وسيشمل ذلك دراسة مقارنة مع الأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم.

2- الاطلاع على جغرافية الأحداث، والتركيز على المواقع الأردنية الواردة في الكتاب المقدس.

مع التنويه بأنه يطلق على الشخصيات التي وردت في الكتاب المقدس اسم الشخصيات الكتابية نسبة للكتاب المقدس. وأن بين الشخصيات الواردة في الجدول شخصيات أخرى لكن سيكون التركيز على أهم الشخصيات وأهم الأحداث وأهم المواقع الأردنية فقط.

الشواهد الكتابية	الشخصية الكتابية	الأحداث الكتابية والتاريخية	ملاحظات
عصر البدايات/ عصر الخلق/ عصر آدم ونوح			
تك: 1-5	آدم	يرتبط بحدثين: 1- الخلق 2- السقوط ثم بداية فكرة العهد.	
تك 6-11	نوح	يرتبط بحدثين: 1- الطوفان 2- بداية الأمم وظهور 70 شعب (تك: 10)	
عصر الآباء			

ابراهيم ورد في تك: 12-25 **لوط** ورد في تك: 19 **اسحق** ورد في تك: 21-27 (موته في تك: 35). اسحق – اسماعيل (التوراة والقرآن). **يعقوب** تك: 25-36 (موته 49) **يوسف** تك: 37 – 50.	إبراهيم لوط اسحق يعقوب يوسف	يرتبط **إبراهيم** بحدثين: 1- الوعد (فيك تتبارك كافة شعوب الأرض تك: 12). 2- العهد (تك 15) ووردت علامة العهد في (تك: 17). يرتبط **لوط** بحدثين: 1- سدوم وعمورة. 2- ابنتي لوط. يرتبط **اسحق** بحدثتين:1- الذبيحة. 2- البركة والميراث الممنوحتين ليعقوب بدل عيسو. يرتبط يعقوب بحدثين: 1- مصارعة مع الرب وردت في (تك: 32)، 2- النزول مع الأسباط إلى مصر (تك: 46). يرتبط يوسف بحدثين: 1- حادثة البئر 2- أكثر الرجال نفوذًا في مصر إلى جانب ملك مصر.	نسل لوط من ابنتيه: ظهور مؤاب وهو أبو المؤابيين. وبن عَمي وهو أبو بني عمون. **ظهر مفهوم الأسباط.** يوسف جاء مصر قبل غزو الهكسوس لمصر السفلى لذلك أطلق على حاكم مصر في عهد يوسف بالملك بينما أطلق على حاكم مصر في عهد موسى، فرعون.

مفهوم الأسباط:

جاءت تسمية أسباط إسرائيل الإثني عشر من أبناء إسرائيل الإثني عشر. واسم إسرائيل هو الاسم الذي أعطاه الله ليعقوب (تكوين 32: 28). وأبناؤه الإثني عشر هم: رأوبين، شمعون، لاوي، يهوذا، نفتالي، دان، جاد، أشير، يساكر، زبولون، يوسف، بنيامين (تكوين 35: 23-26؛ خروج 1: 1-4؛ أخبار الأيام الأول 2: 1-2).

وقد جرى تقسيم الأرض على الأسباط، حيث لم يأخذ سبط لاوي أية أراضٍ (يشوع 13: 14) بل صاروا كهنة وكانت لهم عدة مدن منتشرة عبر إسرائيل. وانقسم سبط يوسف إلى إثنين: فقد تبني يعقوب ابني يوسف، إفرايم ومنسى، معطياً ليوسف نصيباً مضاعفاً من أجل أمانته في إنقاذ عائلته من المجاعة (تكوين 47: 11-12). أما الأسباط التي حصلت على نصيب في أرض الميعاد فقد كانت رأوبين، شمعون، يهوذا، دان، نفتالي، جاد، أشير، يساكر، زبولون، بنيامين، إفرايم، منسى. وفي بعض المواضع الكتابية يشار إلى سبط إفرايم بأنه سبط يوسف (عدد 1: 32-33).

الاحتلال الإسرائيلي القديم

مملكة إسرائيل هو اسم مملكة جاء ذكرها في الكتاب المقدس كمملكة لجميع أسباط بني إسرائيل الإثني عشرة، سماها باحثو الكتاب المقدس بمملكة إسرائيل الموحدة للتمييز عن المملكتين اللتين انفصلتا عنها لاحقًا، وهما مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا. هذه المملكة الموحدة حكمها كل من شاول، وداود، وسليمان، وتوصف هذه المملكة في سفري صموئيل الأول والثاني كاتحاد لأسباط بني إسرائيل. ومن تحليل نصوص السفرين، يقدر معظم دارسي العهد القديم تبعاً لما ورد فيه فترة وجود هذه المملكة الموحدة بحوالي 80- 100 عام، أي منذ سنة 1050 قبل الميلاد وحتى سنة 930 قبل الميلاد تقريبا.

ما يهمنا وما سنتعرض له في هذا المادة الاحتلال اليهودي لمناطق العمونيين والمؤابيين (الأردن حاليًا).

فلنأخذ بهذا الجدول:

الشواهد الكتابية	الشخصية الكتابية	الأحداث الكتابية والتاريخية	ملاحظات
كامل خر – تث: 32 موت موسى تث 34	موسى	يرتبط موسى بحدثين: 1-الخروج من مصر. 2-الشريعة.	قبل موسى لم يكن هناك شريعة مكتوبة لليهود.
يش 1-12 يش 13-24 (مرحلتين)	يشوع	يرتبط يشوع بحدثين: 1. الدخول إلى أرض الموعد* وخوض حروب كثيرة. 2. تقسيم الأرض على الأسباط.	

عصر القضاة			
قضـ 3-16	عُثنئيل	التقلب اليهودي بين التقريب من الله ثم الابتعاد.	**مفهوم الدورة المتكررة**
1 صمـ 1-7	صموئيل		
عصر الملوك (امتد من 1050 ق.م – 931 ق.م)			
1 صمـ 9-31	شاول	أول ملوك إسرائيل وحكم 40 سنة من 1050 ق.م – 1010 ق.م.	**الدولة الموحدة**
1 صمـ 16-31 خادم لشاول. 2 صمـ كامل كملك. 1 ملـ 1و2 تسليم الحكم	داود	1. أهم حدث أنه عمل على توسيع المملكة 2. لم يهزم في أي معركة. 3. كاتب معظم المزامير. 4. من سبطه يخرج المُخلص. حكم 40 سنة من 1010 ق.م -970 ق.م	**مفهوم المخلص عند اليهود وعند المسيحيين.**
1 ملـ 1-11	سليمان	1. من أهم صفاته الحكمة. 2. أعظم أعماله بناء الهيكل الأول. 3. رجل سلام وفي عهده اسرائيل عاشت في فترة رخاء. حكم 40 عام 970ق.م – 930 ق.م	**إنقسام اليهود**

عصر الأنبياء (930 ق.م – 400 ق.م)

بعد سليمان النبي حدث انقسام بين رحبعام ابن سليمان ويربعام خادم سليمان.

أظهر يربعام ذكاء وفطنة، فعينه سليمان ناظراً للعملة لغايات ترميم السور الذي تصدع عندما أخذ داود المدينة من اليبوسيين واحتلها. وفي ذات يوم أخبره أخيا النبي أن مملكة سليمان ستنقسم وأنه سيصبح ملكاً على الأسباط العشرة الشمالية. ولما عرف سليمان بالأمر أراد قتله، فهرب إلى مصر، وبقي هناك حتى مات سليمان (1 مل 11: 26- 40) وبعد موت سليمان أتى يربعام وجماعة من الأسباط الشمالية إلى رحبعام بن سليمان وطلبوا بالإصلاح. فأجابهم بجفاء، فعصى عشرة أسباط، وجعلوا يربعام ملكاً عليهم، واتخذ من شكيم (نابلس) عاصمة له، وخشية أن يصعد الشعب إلى أورشليم للأعياد ويجدد ولاءه القديم لبيت داوود، نصب عجلين من ذهب، أحدهما في بيت أيل والآخر في دان، أي في طرفي مملكته، ونادى بوجوب عبادتهما (1 مل 12: 26- 33).

ويعتبر هذا الإنقسام ثاني أسوأ حدث في تاريخ اليهود بعد العبودية. وجرى بين المملكتين حروب طويلة وتحالفات مع الدول المجاورة ضد بعضهما، كما أنهما تحالفا في بعض الأحيان ضد الممالك المجاورة، من هذه الحروب نذكر أنه انضم يهوشافاط ملك يهوذا إلى يهورام ملك إسرائيل في حربه ضد الموآبيين الذين كانوا يدفعون الجزية لإسرائيل، وكانت هذه الحرب ناجحة، وأُخضع الموآبيون من جديد. وخلف يهوشافاط ابنه يهورام الذي شكل تحالفًا مع مملكة إسرائيل بزواجه من عثليا ابنة أخاب، وعلى الرغم من هذا التحالف فقد كان حكم يهورام غير مستقر، فثارت عليه مملكة إدوم واضطر إلى الاعتراف باستقلالهم.

وكما ذكرنا سابقًا حول انقسام المملكة الموحدة حيث تسمى الفترة التي تلي سليمان بعصر الأنبياء وفيها حدث انقسام المملكة إلى مملكتين المملكة الجنوبية وقادها رحبعام بن سليمان وكان معه سبطين هما يهوذا وبنيامين، ويربعام خادم سليمان والذي حكم مملكة الشمال ومعه سبط أفرايم و9 أسباط أخرى. سميت الجنوبية مملكة يهوذا، وكانت تضم الأسباط يهوذا وبنيامين، بينما توحدت الأسباط الأخرى لتكوين مملكة إسرائيل الشمالية مع سبط أفرايم (مملكة السامرة أو مملكة بيت عُمري) .

قام الآشوريون بتدمير إسرائيل في الشمال، وتم قتل أغلبية الإسرائيليين أو سبيهم، ومن هرب منهم يعتقد أنه إندمج مع مملكة يهوذا، أو هرب بإتجاه غير معروف.

مصطلحات وجب شرحها

أرض الموعد أو أرض الميعاد في المفهوم المسيحي:

يعلّم العهد القديم أن علاقة الله بإسرائيل كانت في إطار العهد، وخضعت أرض الميعاد لبنود هذا العهد، فقد أعطى الله الأرض "لشعبه" في إطار عهد، وكانت هذه الأرض بمثابة وكالة أو أمانة أو ضمان، أي أنها كانت ملك الله ومسؤولية الإنسان. وبما أن الإنسان فقد المكان الذي اختبر فيه حضور الله معه بشكل خاص.. وهكذا، يمكننا أن نرى في اختيار إبراهيم والوعد بالأرض محاولة لاسترداد ما فُقد في عدن، والوعد بالأرض ارتبط بشعب معيّن لأن الله اختار من نسل هذا الشعب المخلص.

تعلّم الأناجيل أن يسوع جاء إلى الأرض – أرض الميعاد – ليدشن ملكوت الله على كل الأرض، وإذ كان هو ملك ورب فإنه لم يختر لنفسه أرضًا ولا مملكة ولا شعب خاص به، بالتالي لا يوجد في الأرض بقعة اسمها "أرض الميعاد" لأن الأرض كلها لله، ولا يوجد شعب يطلق عليه لقب شعب الله المختار لأن الشعوب كلها هي مُلك لله، وشعب الله هو المؤمنين بخلاصه، وأن الملكوت السماوي هو الموضوع الرئيسي في الأناجيل، ولا نبالغ في قولنا إن محور رسالة يسوع المسيح وأغلب تعاليمه كانت عن الملكوت، وإن أرض الملكوت هي كل الأرض!

إن صهيون في العهد القديم وكل الكلام عن القدس (أي أورشليم) وأمجادها وعن حضور الله في قدسه ما هي إلا إشارات أرضية إلى واقعٍ سماويٍّ. وعليه فإن شرعية صهيون وهيكلها في العهد القديم تكمن في إشارتها إلى هيكل السماء وبمجرد أن تم الخلاص فإن لا صهيون ولا الهيكل له القدسية وما عاد حاجة هناك لتلك الرموز ولا لذلك الحجاب الذي يفصل قدس الأقداس في الهيكل الأرضي عن الجميع. في المختصر لقد انتهى العهد القديم بكل مفاعيله وبدأ العهد الجديد بكل مفاعيله.

ان استخدام الكتاب المقدس لتبرير أو تأييد خيارات ومواقف سياسية فيها ظلم يفرضه انسان على إنسان أو شعب على شعب آخر، يحوّل الدين إلى ايديولوجية بشريّة ويجرّد كلمة الله من قداستها وشموليتها وحقيقتها، ولذا فإن العهد الجديد قد طوى العهد القديم برمزيته وبكل العهود القديمة، فلا أرض ميعاد لليهود ولا هيكل ولا أورشليم ولا شعب الله المختار. كله انتهى مع بداية العهد الجديد.

إلا أنه وبعد حركة الإصلاح الديني (الإنشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية) في القرن السادس عشر ظهرت "الصهيونية المسيحية" في أوروبا ثم هو الاسم الذي يطلق عادة على معتقد جماعة من المسيحيين، المنحدرين غالبًا من الكنائس البروتستانتية الأصولية. تؤمن هذه الفئة بأنّ قيام دولة إسرائيل عام 1948 كان ضرورة. لأنها تتمم نبؤات الكتاب المقدس بعهديه: القديم والجديد. ويشكّل قيام إسرائيل المقدمة لمجيء المسيح الثاني إلى الأرض كملكٍ منتصر لألف عام، بعد حرب سيخوضها ضدّ الشّرّ في العالم. يعتقد الصهاينة المسيحيون أنه من واجبهم الدفاع عن الشعب اليهودي بشكل عام وعن الدولة العبرية بشكل خاص، ويعارضون أي نقد أو معارضة لإسرائيل. بالأخصّ في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ يشكّلون جزءًا من اللوبي المؤيد لإسرائيل

مفهوم الدورة المتكررة:

ظهر هذا المفهوم الكتابي ليشير لأحداث في عصر القضاة حيث اعتاد اليهود خلالها على الابتعاد عن الله، ثم الوقوع في الاستعباد للشعوب المحيطة بهم، ثم التوبة، ثم ظهور نبي، ثم العودة إلى الله، ثم رخاء، ثم تتكرر الدورة بالابتعاد عن الله وهكذا...

السبي:

ما الفرق بين السبي والإحتلال؟

الإحتلال هو أخذ أرض لشعب آخر وحكم الأرض والشعب بالقوة والسلاح تمامًا كاحتلال الكيان الصهيوني لفلسطين، أما السبي فهو غزو أرض لشعب آخر ثم أخذ الشعب أو جزء منه سبايا وعبيد، وثم ترك الأرض دون احتلالها. وعليه يمكن وصف ما حدث لليهود بالسبي وليس بالاحتلال، وقد جرى نوعين من السبي هما: السبي الأشوري والسبي البابلي.

الهدف من السبي الأول المسمى السبي الأشوري:

كان الآشوريون يريدون تأمين ممر بين منطقتهم والبحر المتوسط فشنوا غزوات متعددة على بلاد الشام بشكل عام وقد استمرت غزواتهم بين عامي 740 - 722 ق.م.

في عام 727 ق.م. هاجم ملك آشور شلمنأصر الخامس مملكة اسرائيل بسبب توقفها عن دفع الجزية وأجبر ملكها هوشع بن أيلة على دفعها حتى عاد الملك للتمرد ثانية على الآشوريين فحاصرهم ثانية حتى وفاته دون إخضاعها، وعند قدوم خليفته سرجون، حاصر مملكة إسرائيل حتى أخضعها عام 722 ق.م. ودمروا عاصمتها شاكيم (السامرة – نابلس) وسبوا عدداً من سكانها ويقال أنه سبي شامل لكل الشعب تقريبًا إلا من هرب شمالا أو جنوبًا.

عندما تم سبي مملكة الشمال (إسرائيل) فإن اليهود الذين نقلوا لآشور تزاوجوا واختلطوا بسكان آشور ومع الوقت نسيوا أرضهم.

ويعتقد اليهود من غير السامريين أن السامريين ليسوا من بني إسرائيل، وإنما قومٌ جاء بهم الآشوريون بعد السبي الآشوري، وأن الإسرائيليين أخرجوا من السامرة وملأها الآشوريون بقومٍ حملوهم من بلادهم مما يعني أن السامريين خليط عرقي، وقد وافقهم علماء مسلمون من أمثال المقريزي في هذا وأنهم تهودوا بعد سكناهم لبلاد الشام، واستندوا في ذلك إلى ما ورد في سفر الملوك

الثاني: *"وَأَتَى مَلِكُ أَشُّورَ بِقَوْمٍ مِنْ بَابِلَ وَكُوثَ وَعَوَّا وَحَمَاةَ وَسَفَرْوَايِمَ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ عِوَضًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَامْتَلَكُوا السَّامِرَةَ وَسَكَنُوا فِي مُدُنِهَا"* (2 مل 17: 24).

السبي الثاني السبي البابلي أو سبي يهوذا:

تم هذا السبي على ثلاث مراحل في عهد ثلاثة ملوك وثلاثة أنبياء (البعض يقول أن السبي تم على أربعة مراحل) كالتالي:

الملك البابلي	ملك يهوذا	النبي	السنة /السفر
نبوخذ نصر	يهوياقيم	دانيال	608 – 606ق.م /سفر دانيال
نبوخذ نصر	يهوياكيم	حزقيال	597 ق.م /2 أخ: 36 و حز 1
نبوخذ نصر	صدقيا	أرميا	586 ق.م/2 أخ: 36 وأرميا 1

"في السنة الثالثة من ملك يهوياقيم ملك يهوذا، ذهب نبوخذنصر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها" (دانيال 1: 1) وفي السبي الثالث تم تدمير الهيكل الأول *"بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت العظماء، أحرقها بالنار"* (2مل 25: 9) ويقال أن السبي جرى على مدار 20 سنة واستثنى الشيوخ والعجائز والأطفال والمرضى وشمل فقط الشباب والفتيان وأصحاب الصناعات والكهنة.

العودة بأمر كورش في 538 ق.م:

عندما استولى كورش الفارسي على بابل وقضى عليها في 539 ق.م. انتعشت آمال المسبيين، فقد كان كورش "الفأس" التي سيسحق بها "يهوه" بابل (إر 51: 20). وقد تنبأ إشعياء قائلًا: *"(الرب) القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستُبنين وخربها أقيم، القائل لُلَّجَّة انشفي وأنهارك أجفف... ويقول عن أورشليم ستبنى وللهيكل ستؤسس"* (إش 44: 26-28).

إعادة بناء الهيكل في 536 ق.م:

لم تمض سنة على دخول كورش إلى بابل، حتى أصدر مرسومًا بمنح المسبيين الإذن بالعودة وبناء بيت الرب في أورشليم (2أخ 36: 22، 23؛ عز1: 1-4) كما أخرج آنية الهيكل التي أحضرها نبوخذنصر إلى بابل وسلَّمها إلى شيشبصر رئيس يهوذا، فأصعدها شيشبصر معه عند "إصعاد السبي من بابل إلى أورشليم" (عز1: 7-11). أنظر كل من سفر عزرا ونحميا وحجي وزكريا.

رجع من المسبيين 42,360 بقيادة شيشبصر علاوة على العبيد، في أيام يشوع بن صادوق الكاهن وزربابل، بنوا المذبح ووضعوا أساسات الهيكل، ولكن العمل توقف لمقاومة السامريين لعملية البناء، لأنهم منعوا من المشاركة في البناء. وهنا قام النبيان حجي وزكريا بحث الشعب على استئناف العمل وتشجيعهم بالقول بأن مجد هذا البيت سيكون أعظم من مجده الأول (حجي 2: 9) وفي السنة السادسة لداريوس الملك (515 ق.م) تم العمل واحتفلوا بالفصح فيه (عز 6: 15-18).

ولم يكن في الهيكل الثاني أي من هذه الأشياء:

تابوت العهد، الذي يحوي ألواح الصخر، التي كان أمامها جرّة من المنّ وعصا هارون، الأوريم والتميم، الزيت المقدس، النار المقدسة. وفي الهيكل الثاني، كان قدس الأقداس معزولًا بستائر لا بجدار كما كان في الهيكل الأول. ولكن، في قدس أقداس الهيكل الثاني كان: منارة الهيكل (المصباح الذهبي)، مائدة الخبز (خبز الوجوه)، مذبح العطور الذهبي، وفيه مباخر ذهبية. تقول المشناة إن «حجر الأساس» قام مقام التابوت، ووضع الكاهن الأعلى مبخرته عليه في يوم الغفران. كما حوى الهيكل الثاني أيضًا أوعية الذهب الأصلية التي أعادها البابليون، لكن التلمود البابلي يقول: إن الهيكل لم تكن فيه السكينة (حضور الربّ الساكن أو المستقر) ولا الروح القدس الذي كان حاضرًا في الهيكل الأول. وسبب ذكرنا لهذه الأشياء هو تنبيه العرب بأن المتطرفين اليهود قد يسعون لإعادة بناء الهيكل الثالث مع علمهم بأن هذه الأشياء كلها غير موجودة حاليًا.

تأسيس السردية التاريخية

لا بد لضمان إيجاد سياحة حقيقية من وجود قصة مكان. وقصة المكان تعني قصة لموقع أثري (متعارف عليه كموقع تراث ثقافي)، وهي بمعنى آخر سردية أقرب للقصة الأدبية، بحيث يقوم الدليل بروايتها للسائح، ضمن أعلى درجة ممكنة من المصداقية والأمانة والحياد والدقة.

أما عناصر قصة المكان فهي:

1 -المكان نفسه سواء كان موقعًا أثريًا أو مكان مذكور في الرواية الدينية.

2 -الإنسان (مفردًا أو مجموعة) الذي سكن أو مر في الموقع.

3 -الأحداث المذكورة.

4 -الزمن الذي جرت فيه هذه الأحداث في الموقع نفسه.

أما مشاكل قصة المكان:

1 -عدم وجود قصة مكان واحدة متفق عليها.

2 -جهل الدليل بالقصة العامة أو القصة الخاصة أو كليهما.

3 -التكتم على القصة الحقيقية.

4- المبالغة في السردية.

5- عدم رغبة الدليل في ذكر السردية لأسبابه الخاصة.

6- إجراء تعديلات في السردية لتتناسب وأفكار الدليل.

أما النتائج من وجود قصص مكان مختلفة فهي:

1 -فقدان المصداقية.

2- إظهار الدليل السياحي كإنسان لا يعرف عمله.

3- اختلاق قصص لا تمت للواقع بشيء.

قصة مكان "مقام النبي نوح"

نوح هو شخصية هذا المكان، وهو نوح بن لامك بن متوشلخَ بن خنوخ وهو إدريس بن يارد بن مهلائيل أو مهلاييل أو مهللئيل بن قينان أو قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر. ونوح هو نبي ورد ذكره في الكتب المقدسة بالإضافة إلى ورود ذكره في ميثولوجيا بلاد الرافدين. ونوح حسب الديانات الثلاث شخصية تاريخية حقيقية، وكان الحفيد التاسع أو العاشر لآدم وإنه كان الأب الثاني للبشرية بعد نجاته ومن معه من الطوفان العظيم الذي أباد البشرية.

بما أنه مقام إسلامي فلا بد من العودة للقرآن الكريم فيما يتعلق بمقام النبي نوح، فقد ورد في القرآن الكريم هذا النص: *"لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (59) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (60) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (63) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (64)" (الأعراف).*

يرى المسلمون أن النبي نوح هو أول الرسل، ومن أولي العزم الخمسة، بعثه الله للبشرية لأن البشر عبدوا الأصنام والطواغيت، وقد ذكرت قصته في القرآن، وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر بالله من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه الله وأصحاب السفينة. هناك أيضًا قصص مشابهة في الأساطير القديمة تتحدث عن الطوفان.

ويُذكر نوح في الكتاب المقدس في العهد القديم في سفر التكوين الاصحاح السابع: *1 وقال الرب لنوح: «ادخل انت وجميع بيتك الى الفلك، لاني اياك رايت بارا لدي في هذا الجيل. 2 من جميع البهائم الطاهرة تاخذ معك سبعة سبعة ذكرا وانثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين: ذكرا وانثى. 3 ومن طيور السماء ايضا سبعة سبعة: ذكرا وانثى. لاستبقاء نسل على وجه كل الارض. 4 لاني بعد*

سبعة ايام ايضا امطر على الارض اربعين يوما واربعين ليلة. وامحو عن وجه الارض كل قائم عملته». 5 ففعل نوح حسب كل ما امره به الرب. 6 ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الارض، 7 فدخل نوح وبنوه وامراته ونساء بنيه معه الى الفلك من وجه مياه الطوفان. 8 ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور وكل ما يدب على الارض: 9 دخل اثنان اثنان الى نوح الى الفلك، ذكرا وانثى، كما امر الله نوحا. 10 وحدث بعد السبعة الايام ان مياه الطوفان صارت على الارض. 11 في سنة ست مئة من حياة نوح، في الشهر الثانى، في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم، انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم، وانفتحت طاقات السماء. 12 وكان المطر على الارض اربعين يوما واربعين ليلة. 13 في ذلك اليوم عينه دخل نوح، وسام وحام ويافث بنو نوح، وامراة نوح، وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك. 14 هم وكل الوحوش كاجناسها، وكل البهائم كاجناسها، وكل الدبابات التي تدب على الارض كاجناسها، وكل الطيور كاجناسها: كل عصفور، كل ذي جناح. 15 ودخلت الى نوح الى الفلك، اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة. 16 والداخلات دخلت ذكرا وانثى، من كل ذي جسد، كما امره الله. واغلق الرب عليه. 17 وكان الطوفان اربعين يوما على الارض. وتكاثرت المياه ورفعت الفلك، فارتفع عن الارض. 18 وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا على الارض، فكان الفلك يسير على وجه المياه. 19 وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الارض، فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. 20 خمس عشرة ذراعا في الارتفاع تعاظمت المياه، فتغطت الجبال. 21 فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض من الطيور والبهائم والوحوش، وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض، وجميع الناس. 22 كل ما في انفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات. 23 فمحا الله كل قائم كان على وجه الارض: الناس، والبهائم، والدبابات، وطيور السماء. فانمحت من الارض. وتبقى نوح والذين معه في الفلك فقط. 24 وتعاظمت المياه على الارض مئة وخمسين يوما". أما في العهد الجديد فقد شبه السيد المسيح حالة الناس عند مجيئه الثاني المنتظر بحالة البشر أيام نوح عند مجيء الطوفان: *"لأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي الأَيَّامِ الَّتِي قَبْلَ الطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ*

وَيُزَوِّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ الْفُلْكَ، وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ وَأَخَذَ الْجَمِيعَ، كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ." (مت 24: 38-39). وكثيرًا ما أشار الأنبياء والرسل إلى نوح والى الطوفان (اش 54: 9؛ حز 14: 14؛ 1 بط 3: 20؛ 2 بط 2: 5).

ويصور العهد الجديد نوح كشخصية قريبة ومطيعة للرب ويضعه إنجيل مرقس في نفس منزلة إبراهيم ويعقوب، وفي بعض الكتابات المسيحية التي كتبت في القرون من القرن الرابع إلى القرن السادس من قبل معلمي الكنيسة ومنهم القديس أوغسطين، تم إعطاء أهمية دينية كبيرة لسفينة نوح حيث تم اعتبارها رمزا للخلاص من خلال تشبيه السفينة بالكنيسة.

تشير الأبحاث الجيولوجية واستنادًا إلى دراسة المتحجرات وطبقات علم الأرض أن هناك دلائل على حدوث مجموعة فيضانات ولكن لا يمكن أن يؤكد العلم الحديث أو ما زال عاجزًا عن اثبات أن سلسلة من الفيضانات جرت قبل 7000 عام من الآن، غطت وجه المعمورة كاملا، كما أشار لها الكتاب المقدس.

أما المقام فعبارة عن مسجدٍ صغير من غرفة واحدة دهنت من الخارج بالأبيض وقبته البسيطة والتي يقال أنها جددت في الفترة العثمانية دهنت بالأخضر وتحت القبة يوجد المقام أو القبر المغطى بالقماش الأخضر كعادة المقامات الإسلامية كلها تقريبا، أما مساحة الغرفة فتقريبًا (57 مترًا مربعًا) والبناء من الحجر والطين ويتوسط المقام مقبرة الكرك القديمة والتي سُميت باسم "مقبرة نوح". ويعود تاريخ البناء إلى الفترة المملوكية، والذي تهدّم أكثر من مرة، وأعيد ترميمه في الفترة العثمانية في العام 1920 .

يتبع المقام والذي هو مسجد حاليًا وزارة الأوقاف الإسلامية ورمم في الأعوام 2011 و 2015 و 2019، إلا أن المكان ما زال يفتقر للرؤية الحديثة للسياحة الدينية، كما أن الموقع ليس ضمن مسار سياحي ديني معتمد ورسمي ومروج له بشكل علني، ولكن يمكن أن يكون جاذب للسياحة الدينية خصوصًا سياحة مسلمي جنوب شرق آسيا ومسلمي القوقاز.

قصة مكان "إبراهيم ولوط"

إبراهيم أو أبرآم، أبو الأنبياء.

ذكر الكتاب المقدس سيرته وما مر بحياته من أحداث إلى يوم وفاته ودفنه، ولم يرد في الكتاب المقدس أنه وصل للأردن، لكن لا يمكن أن ننفي وصوله إليها سواء أكانت، كحركة نقل أو إقامة محدودة، خصوصًا أن حياة إبراهيم كانت حياة خيم وليست حياة مستقرة بمعنى الاستقرار الدائم، فهو تنقل بين أور ثم بابل ثم حاران ثم شكيم ثم بيت إيل ثم مصر ثم بيت إيل ثم حبرون ثم دمشق ثم حبرون ثم جرار ثم بئر السبع ثم مريا ثم بئر السبع وفي بيت إيل انفصل إبراهيم ولوط بسبب الأملاك الكثيرة وقلة المراعي، وقد سكن إبراهيم في حبرون حيث اشترى المغارة عند بلوطات ممرا. وتنقل إبراهيم في مناطق كنعان القريبة من حبرون مثل مدينة جرار وهي تقع جنوب شرقي غزة وكذلك مريا القريبة من القدس في الشمال، إلى أن مات في حبرون.

تتضارب الروايات حول وجود النبي إبراهيم لكن من يؤمنون بوجود هذا النبي يعتبرون أنه وجد في الفترة بين 2324-1850 ق.م. بعض التقديرات تشير أنه وجد قبل 1800 عام من الميلاد.

أما لوط فذكرت حياته عرضا على هامش حياة شخصية إبراهيم.، ثم تحتل قصة خروجه من القرية المنكوبة على حدا وبتفصيل يكاد يكون دقيق.

فما الفرق بين إبراهيم ولوط حسب الكتاب المقدس؟

من الضروري أن نفرق بين إبراهيم ولوط حسب الكتاب المقدس، وسيفهم القارئ سبب ذلك في معرض حديثنا ككل عن كلا الشخصيتين.

إبراهيم دعاه الله أن يخرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه إلى الأرض التي يريه الله إياها (تك12:1) ولوط في المقابل لم يتلق دعوة من الله، ولكن عمه أخذه معه (تك 12:5) ونال إبراهيم بركة من الله في دعوته وقال له الله أباركك وأبارك مباركيك... وتكون بركة (تك12:3,2) ولم يذكر الكتاب أن لوطًا نال

مثل هذه البركة. كان إبراهيم في كل مكان يحل فيه يبني مذبحا للرب، ويدعو باسم الرب (تك 12:8) و (تك 13:18) أما لوط فلم يقل الكتاب أنه بنى مذبحًا للرب، ثم ذكر الكتاب أن إبراهيم تدخل لإنقاذ لوط من الكارثة (تك 19:29)، ولإبراهيم مميزات أخرى فقد وعده الرب حينئذ بوارث فصدق وعد الرب وآمن به فحسبه له برًا وقد وعده الرب بميراث أرض كنعان وأيد له هذا الوعد بعهد (تكوين 15) وأخذ إبراهيم هاجر جاريته زوجة، فولدت له إسماعيل (تكوين 16) ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الرب وغير اسمه من أبرام إلى إبراهيم ووضع له الختان علامة للعهد، وغير اسم ساراي امرأته إلى سارة، وكشف له مضمون العهد أن النسل الوارث سيكون من سارة وسيدعى اسمه إسحاق (إسحق) ويقيم الرب معه العهد (تكوين 17).

أما فراقه مع لوط فيسجله الكتاب كالتالي:

لما كثرت أغنامهما ومواشيهما وأملاكهما ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معا اعتزلا، فاختار لوط لنفسه الأرض المعشبة (تك13:11) أما إبراهيم فأخذ الأرض التي اختارها له الرب (تك 13:15,14).

ويشار إلى أن البقايا الأثرية تؤكد بأن هذه المناطق أقصد شرق البحر الميت كانت مأهولة بشكل أو بآخر قبل وجود لوط فيها وأن سكانها على ما يبدو كانوا يعتاشون على الصيد وبالأخص صيد الغزلان، فلا بد أن هذه الأراضي القاحلة الآن كانت كثيرة العشب حتى فترة وجود لوط فيها، وهذا ليس فقط كما ورد في الكتاب المقدس، بل تُشير العديد من الاكتشافات الأثرية أن هذه المنطقة وحتى الصحراء وجد فيها مصائد الغزلان المسماه الطائرات الورقية، وأن بعض هذه المصائد تعود للعصر الحجري الحديث أي قبل إبراهيم ولوط بفترة طويلة، وبما أنها مصائد غزلان فلا بد أن هذه المناطق كانت تعج بهذه الحيوانات العاشبة، دليل على وفرة العشب والماء.

لم يذكر لنا العهد القديم شيئاً عن قداسة لوط إلا أنه -حسب القديس بطرس- كان يستاء مما يراه من القوم الذي اختار هو أن يعيش بينهم، لكن ذكر عنه القديس

بطرس الرسول إنه كان بارًا - *وكانت نفسه تتعذب يوما فيوما بمناظر الناس الأشرار (2بط 2:8)* والإنسان البار في المسيحية تعني أيضًا قديس وهي منزلة عظيمة جدًا في المسيحية- لكن المسيحية تختلف عن الاسم في نظرتها للوط، فلوط عند المسيحيين بار وقديس لكن في الإسلام هو نبي من أنبياء الله - ولعله كان ضمن العشرة الأبرار الذين اتفق الرب مع إبراهيم إنهم- لو وجدوا في سادوم- لا يهلكها من أجلهم (تك 18:32) على أنهم لم يوجدوا. نعم في كل مرة كان يقع لوط في خطر (تك 13:12-16) أو يتعرض لخطر(تك 18:19) كان عمه إبراهيم هو الذي ينقذه.

أما المؤابيون والعمونيون أبناء ابنتيه فلم يدخلا في عداد شعب الله - حسب الرواية اليهودية - بل كأولاد للخطيئة (تك 19:36-38). ولنا في هذا الموضوع تعليق في مكانه.

نظرًا لوجود قبر محدد لإبراهيم في الخليل يعترف به أصحاب الديانات الثلاثة وفوقه أقيم على ما يعتقد في العصر الروماني مبنى وسور، ثم مبنى غير واضح الوظيفة في العهد البيزنطي ثم مسجد في العصور الاسلامية المتعاقبة، إلى أن أغلقه الاحتلال الاسرائيلي لفترة من الزمن إثر عملية هجوم إرهابي من قبل متطرف يهودي على المصلين المسلمين، ثم قُسم بين اليهود والمسلمين، فإن أي من المؤمنين بقدسية إبراهيم لم يحاول أن يقترح في مراحل متأخرة أو متقدمة قبرًا أو مقامًا لإبراهيم غير الموجود في الخليل في فلسطين المحتلة.

أما الشخصية الثانية التي تكاد ترتبط جزئيًا بأبو الأنبياء إبراهيم فهو لوط.

فبعد أن قدم الكتاب المقدس طبيعة العلاقة بين إبراهيم ولوط، فإن انفصالا حدث في قصتهما لاحقًا، وللوط قصة في الكتاب المقدس ارتبطت بحدثين مهمين ومكانين مهمين هما:-

قصة مكان "سادوم وعمورة"

وصف المكان:

تعتبر سادوم وعمورة من ضمن مدن السهل الخمسة، وهي حسب الكتاب المقدس كل من: سادوم، وعَمُورَةَ، وَأَدْمَةَ، وَصَبُويِيمَ، وَبَالَعَ (صُوغَر)، وسمى الكتاب المقدس ملوكها أيام إبراهيم وهم *بَارَعَ مَلِكِ سَدُومَ، وَبِرْشَاعَ مَلِكِ عَمُورَةَ، وَشِنْآبَ مَلِكِ أَدْمَةَ، وَشِمْئِيبَرَ مَلِكِ صَبُويِيمَ، وَمَلِكِ بَالَعَ الَّتِي هِيَ صُوغَرُ* (تكوين 14: 2) فهي إذا كانت مدن يحكمها ملوك وهذه رواية شيقة يستطيع أن يقدمها الدليل السياحي عن بداية نشوء المدن كممالك، ولنا في نهاية الكتاب شرح بسيط حول هذا الموضوع. وذكر الكتاب أن هذه المدن تعرضت لإعتداء من ملوك مدنٍ أخرى سماهم الكتاب المقدس أيضًا، فيقول:*"1 وَحَدَثَ فِي أَيَّامِ أَمْرَافَلَ مَلِكِ شِنْعَار[7]، وَأَرْيُوكَ مَلِكِ أَلاَّسَارَ[8]، وَكَدَرْلَعْوَمَرَ مَلِكِ عِيلاَمَ[9]، وَتِدْعَالَ مَلِكِ جُويِيمَ[10]، 2 أَنَّ هؤُلاَءِ صَنَعُوا حَرْبًا مَعَ بَارَعَ مَلِكِ سَدُومَ، وَبِرْشَاعَ مَلِكِ عَمُورَةَ، وَشِنْآبَ مَلِكِ أَدْمَةَ، وَشِمْئِيبَرَ مَلِكِ صَبُويِيمَ، وَمَلِكِ بَالَعَ الَّتِي هِيَ صُوغَرُ.3 جَمِيعُ هؤُلاَءِ اجْتَمَعُوا مُتَعَاهِدِينَ إِلَى عُمْقِ السِّدِّيمِ الَّذِي هُوَ بَحْرُ الْمِلْحِ. 4 اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً اسْتُعْبِدُوا لِكَدَرْلَعْوَمَرَ، وَالسَّنَةَ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ عَصَوْا عَلَيْهِ. 5 وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ أَتَى كَدَرْلَعْوَمَرُ وَالْمُلُوكُ الَّذِينَ مَعَهُ وَضَرَبُوا الرَّفَائِيِّينَ فِي عَشْتَارُوثَ قَرْنَايِمَ، وَالزُّوزِيِّينَ فِي هَامَ، وَالإِيمِيِّينَ فِي شَوَى قَرْيَتَايِمَ، 6 وَالْحُورِيِّينَ فِي جَبَلِهِمْ سَعِيرَ إِلَى بُطْمَةِ فَارَانَ الَّتِي عِنْدَ الْبَرِّيَّةِ. 7 ثُمَّ رَجَعُوا وَجَاءُوا إِلَى عَيْنِ مِشْفَاطَ الَّتِي هِيَ قَادِشُ. وَضَرَبُوا كُلَّ بِلاَدِ الْعَمَالِقَةِ، وَأَيْضًا الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي حَصَّونَ تَامَارَ. 8 فَخَرَجَ مَلِكُ سَدُومَ، وَمَلِكُ عَمُورَةَ، وَمَلِكُ أَدْمَةَ، وَمَلِكُ صَبُويِيمَ، وَمَلِكُ بَالَعَ، الَّتِي هِيَ صُوغَرُ، وَنَظَمُوا حَرْبًا مَعَهُمْ فِي عُمْقِ السِّدِّيمِ. 9 مَعَ*

---

[7] مدينة في بلاد الرافدين

[8] مكان في بابل. ويرّجح أنه نفس لارسا القديمة. ومكانه اليوم سنكرة جنوبيّ شرقي ارك.

[9] منطقة واسعة تقع حاليًا في إيران، لذلك يطلق عليها حضارة ما قبل إيرانية قديمة، وتوسعت في العصر الحديث إلى أقصى الغرب والجنوب الغربي من إيران، ممتدةً من الأراضي المنخفضة التي تُسمى الآن محافظة خوزستان ومحافظة عيلام، بالإضافة إلى جزء صغير جنوب العراق.

[10] ليس من الواضح أين تقع هذه المملكة، لكن جوييم كلمة عبرية معناها أمم أي الشعوب الوثنية، لكن هنا تُطْلَق كاسم علم علي منطقة بذاتها كان يملك عليها أحد حلفاء كدرلعومر ملك عيلام (تك 14: 1 و9)، كما يذكر بين الملوك الذين هزمهم يشوع في عبر الأردن "ملك جوييم في الجلجال" (يش 12: 23) أو في الجليل كما جاء في الترجمة السبعينية.

كَدَرْلَعَوْمَرَ مَلِكِ عِيلاَمَ، وَتِدْعَالَ مَلِكِ جُوييِمَ، وَأَمْرَافَلَ مَلِكِ شِنْعَارَ، وَأَرْيُوكَ مَلِكِ أَلاَّسَارَ. أَرْبَعَةُ مُلُوكٍ مَعَ خَمْسَةٍ. 10 وَعُمْقُ السِّدِّيمِ كَانَ فِيهِ آبَارُ حُمَرٍ كَثِيرَةٌ. فَهَرَبَ مَلِكَا سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَسَقَطَا هُنَاكَ، وَالْبَاقُونَ هَرَبُوا إِلَى الْجَبَلِ. 11 فَأَخَذُوا جَمِيعَ أَمْلاَكِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَجَمِيعَ أَطْعِمَتِهِمْ وَمَضَوْا. 12 وَأَخَذُوا لُوطًا ابْنَ أَخِي أَبْرَامَ وَأَمْلاَكَهُ وَمَضَوْا، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي سَدُومَ. 13 فَأَتَى مَنْ نَجَا وَأَخْبَرَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ. وَكَانَ سَاكِنًا عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الأَمُورِيِّ، أَخِي أَشْكُولَ وَأَخِي عَانِرَ. وَكَانُوا أَصْحَابَ عَهْدٍ مَعَ أَبْرَامَ. 14 فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّنِينَ، وِلْدَانَ بَيْتِهِ، ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَان[11]. 15 وَانْقَسَمَ عَلَيْهِمْ لَيْلاً هُوَ وَعَبِيدُهُ فَكَسَّرَهُمْ وَتَبِعَهُمْ إِلَى حُوبَةَ الَّتِي عَنْ شِمَالِ دِمَشْقَ. 16 وَاسْتَرْجَعَ كُلَّ الأَمْلاَكِ، وَاسْتَرْجَعَ لُوطًا أَخَاهُ أَيْضًا وَأَمْلاَكَهُ، وَالنِّسَاءَ أَيْضًا وَالشَّعْبَ. 17 فَخَرَجَ مَلِكُ سَدُومَ لاسْتِقْبَالِهِ، بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنْ كَسْرَةِ كَدَرْلَعَوْمَرَ وَالْمُلُوكِ الَّذِينَ مَعَهُ إِلَى عُمْقِ شَوَى[12]، الَّذِي هُوَ عُمْقُ الْمَلِكِ. 18 وَمَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ، أَخْرَجَ خُبْزًا وَخَمْرًا. وَكَانَ كَاهِنًا للهِ الْعَلِيِّ. 19 وَبَارَكَهُ وَقَالَ: «مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، 20 وَمُبَارَكٌ اللهُ الْعَلِيُّ الَّذِي أَسْلَمَ أَعْدَاءَكَ فِي يَدِكَ». فَأَعْطَاهُ عُشْرًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. 21 وَقَالَ مَلِكُ سَدُومَ لأَبْرَامَ: «أَعْطِنِي النُّفُوسَ، وَأَمَّا الأَمْلاَكَ فَخُذْهَا لِنَفْسِكَ". 22 فَقَالَ أَبْرَامُ لِمَلِكِ سَدُومَ: «رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الرَّبِّ الإِلهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، 23 لاَ آخُذَنَّ لاَ خَيْطًا وَلاَ شِرَاكَ نَعْلٍ وَلاَ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ لَكَ، فَلاَ تَقُولُ: أَنَا أَغْنَيْتُ أَبْرَامَ. 24 لَيْسَ لِي غَيْرُ الَّذِي أَكَلَهُ الْغِلْمَانُ، وَأَمَّا نَصِيبُ الرِّجَالِ الَّذِينَ ذَهَبُوا مَعِي: عَانِرَ وَأَشْكُولَ وَمَمْرَا، فَهُمْ يَأْخُذُونَ نَصِيبَهُمْ» (تكوين 14: 1-24).

وهكذا عرفنا أين تقع سادوم والمدن التي معها. ويلاحظ أن سادوم هي الكبرى بينهم وأن هذه المنطقة كانت تعتبر كجنة عدن لكثرة ما فيها من عشب وأيضًا فيها السديم[13] وأعمق مكان فيه وهو بحر الملح كما كانوا يطلقون عليه، وفي السديم يوجد ما سماه آبار حُمَر وهي على ما يبدو آبار كان يخرج منها الزفت

[11] تل القاضي في منطقة الجولان المحتلة إلى الشمال من بحيرة الحولة
[12] وادٍ في القدس
[13] السّديم :الماءُ المندفِقُ

أو القار أو النفط[14] وكانت شديدة الغليان، ولنا في هذا الموضوع تعليق في آخر الكتاب قد يفيد الدليل السياحي أيضًا عند تقديمه لمنطقة البحر الميت. وأول ذِكْر لهذه المدن الخمسة كان في التوراة في الحديث عن حدود أرض كنعان *"وَكَانَتْ تُخُومُ الْكَنْعَانِيِّ مِنْ صَيْدُونَ، حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ جَرَارَ إِلَى غَزَّةَ، وَحِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُويِيمَ إِلَى لاَشَعَ"* (تكوين 10: 19) ثم يأتي ذكر المكان ثانية في قصة انفصالهما فيقول الكتاب: *"1 فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ. 2 وَكَانَ أَبْرَامُ غَنِيًّا جِدًّا فِي الْمَوَاشِي وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ. 3 وَسَارَ فِي رِحْلاَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ خَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيلَ وَعَايَ، 4 إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَهُ هُنَاكَ أَوَّلاً. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامُ بِاسْمِ الرَّبِّ. 5 وَلُوطٌ السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ، كَانَ لَهُ أَيْضًا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ. 6 وَلَمْ تَحْتَمِلْهُمَا الأَرْضُ أَنْ يَسْكُنَا مَعًا، إِذْ كَانَتْ أَمْلاَكُهُمَا كَثِيرَةً، فَلَمْ يَقْدِرَا أَنْ يَسْكُنَا مَعًا. 7 فَحَدَثَتْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنَ رُعَاةِ مَوَاشِي أَبْرَامَ وَرُعَاةِ مَوَاشِي لُوطٍ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفَرِزِّيُّونَ حِينَئِذٍ سَاكِنِينَ فِي الأَرْضِ. 8 فَقَالَ أَبْرَامُ لِلُوطٍ: «لاَ تَكُنْ مُخَاصَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ رُعَاتِي وَرُعَاتِكَ، لأَنَّنَا نَحْنُ أَخَوَانِ. 9 أَلَيْسَتْ كُلُّ الأَرْضِ أَمَامَكَ؟ اعْتَزِلْ عَنِّي. إِنْ ذَهَبْتَ شِمَالاً فَأَنَا يَمِينًا، وَإِنْ يَمِينًا فَأَنَا شِمَالاً 10 فَرَفَعَ لُوطٌ عَيْنَيْهِ وَرَأَى كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ أَنَّ جَمِيعَهَا سَقْيٌ، قَبْلَمَا أَخْرَبَ الرَّبُّ سَدُومَ وَعَمُورَةَ، كَجَنَّةِ الرَّبِّ، كَأَرْضِ مِصْرَ. حِينَمَا تَجِيءُ إِلَى صُوغَرَ. 11 فَاخْتَارَ لُوطٌ لِنَفْسِهِ كُلَّ دَائِرَةِ الأُرْدُنِّ، وَارْتَحَلَ لُوطٌ شَرْقًا. فَاعْتَزَلَ الْوَاحِدُ عَنِ الآخَرِ. 12 أَبْرَامُ سَكَنَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَلُوطٌ سَكَنَ فِي مُدُنِ الدَّائِرَةِ، وَنَقَلَ خِيَامَهُ إِلَى سَدُومَ. 13 وَكَانَ أَهْلُ سَدُومَ أَشْرَارًا وَخُطَاةً لَدَى الرَّبِّ جِدًّا"* (تكوين 13: 1-13). هذه المدن بعدما تم انقاذ اهلها بواسطة إبراهيم وعادوا إلى أرضهم يبدو أن سكانها ساروا على طريقٍ سيئة وبالأخص أكبر مدينتين وهما سادوم وعمورة، ويقول الكتاب: *" 20 وَقَالَ الرَّبُّ: «إِنَّ صُرَاخَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ، وَخَطِيَّتُهُمْ قَدْ عَظُمَتْ جِدًّا. 21 أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ، وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ»"* (تكوين 18: 20و21). ثم يقول: *"وَقَالَ الرَّجُلاَنِ لِلُوطٍ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ*

[14] استمر استخراج هذا الزفت أو النفط حتى عصورٍ متأخرة.

مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ، 13 لأَنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ، إِذْ قَدْ عَظُمَ صُرَاخُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلَنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ». (تكوين 19: 12 و13). ثم تسير الأمور فيطلب لوط من الملاكان أن يصعد إلى صوغر بينما المدن الأربعة أحرقت بالنار التي نزلت من السماء بسبب الخطيئة (تكوين 19: 24).

وتستمر القصة بأن ملاكان من أصل ثلاثة كانوا عند إبراهيم وصلوا إلى سدوم، ويلاحظ بأن التركيز على سدوم في الكتاب لأن الرب كان يخطط لإنقاذ لوط منذ البداية لأن الملائكة كانوا متوجهين نحو سادوم وليس غيرها *" 22 وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ، وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ"* (تكوين 18:22)، وبدأ إبراهيم التشفع أو مفاوضة الرب بعدم إهلاك المكان (يقصد كل المدن الخمسة) ثم ترتكز المحادثة على سدوم فيطلب إبراهيم الصفح لأجل خمسين بارًا في المدينة ثم خمسة وأربعين ثم أربعين ثم ثلاثين ثم عشرين ثم عشرة وعندها يتوقف إبراهيم عن المفاوضة خوفًا بأن لا يكون هناك أحد بار في المدينة ولا حتى ابن أخيه. ثم ينقذ الملاكان لوط من أهل المدينة ويطالبانه بأن يخرج هو ومن يخصه: *" 12 وَقَالَ الرَّجُلاَنِ لِلُوطٍ: «مَنْ لَكَ أَيْضًا هُهُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ وَكُلَّ مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْ مِنَ الْمَكَانِ، 13 لأَنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ، إِذْ قَدْ عَظُمَ صُرَاخُهُمْ أَمَامَ الرَّبِّ، فَأَرْسَلَنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَهُ»* (تكوين 19: 12و13) ويُشير الكتاب المقدس إلى أهمية حياة لوط ومدى اهتمام الملاك به فيقول: *15 وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ كَانَ الْمَلاَكَانِ يُعَجِّلاَنِ لُوطًا قَائِلَيْنِ: «قُمْ خُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِإِثْمِ الْمَدِينَةِ 16.«وَلَمَّا تَوَانَى، أَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وَبِيَدِ ابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ. 17وَكَانَ لَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ أَنَّهُ قَالَ: «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ. لاَ تَنْظُرْ إِلَى وَرَائِكَ، وَلاَ تَقِفْ فِي كُلِّ الدَّائِرَةِ. اهْرُبْ إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ.« 18 فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لاَ يَا سَيِّدُ. 19هُوَذَا عَبْدُكَ قَدْ وَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظَّمْتَ لُطْفَكَ الَّذِي صَنَعْتَ إِلَيَّ بِاسْتِبْقَاءِ نَفْسِي، وَأَنَا لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَهْرُبَ إِلَى الْجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْرِكُنِي فَأَمُوتَ. 20هُوَذَا الْمَدِينَةُ هذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحْيَا نَفْسِي.« 21فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي قَدْ رَفَعْتُ*

وَجْهَكَ فِي هذَا الأَمْرِ أَيْضًا، أَنْ لاَ أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي تَكَلَّمْتَ عَنْهَا. 22 أَسْرِعِ اهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ لأَنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى تَجِيءَ إِلَى هُنَاكَ». لِذلِكَ دُعِيَ اسْمُ الْمَدِينَةِ «صُوغَرَ».

وهكذا نجت صوغر من الحكم الرباني لأجل لوط وعائلته.

فنلاحظ بأن إبراهيم توسط أو تشفع لأجل لوط لا بل لأجل كل بار في المكان، وكان الرد نحن أعلم بمن فيها فذهبت الملائكة في هيئة بشر إلى بيت لوط وما أن علم أهل القرية بوجود شابين وسيمين حتى أتوا بيت لوط وأرادوا الفاحشة في ضيفيه، ولم يكن يعلم أنهما ملائكان، ولأنهما ضيفا لوط فقد عرض لوط على سكان سدوم بناته ولكنهم رفضوا والأغلب أن لوط كان يعلم أن اهتمام سكان هذه المدينة ليس البنات بل الرجال وفي التفسير الاسلامي أنه عرض عليهم الزواج ببناته، بينما أنه على ما يبدو كان يماطل أهل المدينة حتى يتمكن من اخراج الشابين منها بسلام، لكن الوحي جاء بخروج لوط وأهله ولكن القرآن الكريم يستثني زوجة لوط﴿*وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ٣٣*﴾ (سورة العنكبوت) ورواها القرآن الكريم بقوله: ﴿*قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ٣٣ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧*﴾ (سورة الذاريات).

وهرب لوط حسب الكتاب المقدس مع زوجته وابنتيه فيقول: *23 وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ، 24 فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. 25 وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتِ الأَرْضِ. 26 وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ.* (سفر التكوين 19).

أما العذاب فذكره القرآن الكريم في سورة هود 82 و83 بقوله: *﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد* . والتفسير كما في الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي: ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ عذابنا ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ وذلك أنَّ جبريل عليه السَّلام أدخل جناحه تحتها حتى قلعها وصعد بها إلى السَّماء ثمَّ قلبها إلى الأرض ﴿ وأمطرنا عليها حجارة ﴾ قبل قلبها إلى الأرض ﴿ من سجيل ﴾ من طينٍ مطبوخٍ طُبخ حتى صار كالآجر فهو سنك كل بالفارسية فَعُرّب ﴿ منضود ﴾ يتلو بعضه بعضاً. وفي تفسير البغوي "معالم التنزيل": قَوْلُهُ: ﴿ فَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا ﴾، عَذَابُنَا، ﴿ جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدْخَلَ جَنَاحَهُ تَحْتَ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ الْمُؤْتَفِكَاتِ وَهِيَ خَمْسُ مَدَائِنَ، وَفِيهَا أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ. وَقِيلَ: أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفٍ، فَرَفَعَ الْمَدَائِنَ كُلَّهَا حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، وَنُبَاحَ الْكِلَابِ. فَلَمْ يُكْفَأْ لَهُمْ إِنَاءٌ وَلَمْ يَنْتَبِهْ نَائِمٌ، ثُمَّ قَلَبَهَا فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا. ﴿ وَأَمْطَرْنا عَلَيْها ﴾، أَيْ عَلَى شُذَّاذِهَا وَمُسَافِرِيهَا. وَقِيلَ: بعد ما قَلَبَهَا أَمْطَرَ عَلَيْهَا، ﴿ حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: (سنك وكل) فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ. وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ: السِّجِّيلُ الطِّينُ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ الذَّارِيَاتُ: 33. قَالَ مُجَاهِدٌ: أَوَّلُهَا حَجَرٌ وَآخِرُهَا طِينٌ. وَقَالَ الْحَسَنُ: كَانَ أَصْلُ الْحِجَارَةِ طِينًا فَشُدِّدَتْ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَعْنِي الْآجُرَّ. وَقِيلَ: السِّجِّيلُ اسْمُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا. وَقِيلَ: هُوَ جِبَالٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ ﴾ النُّورِ: 43. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ مَنْضُودٍ ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما: متتابع يتبع بعضه بَعْضًا مَفْعُولٌ مِنَ النَّضْدِ، وَهُوَ وَضْعُ الشَّيْءِ بَعْضِهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وقوله (مسومة) أي معلمة مختومة، عليها أسماء أصحابها، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه.

قصة مكان "زوجة لوط"

ويقع قرب البحر الميت شرق الأردن، تشكيل حجري يشبه الإنسان حيث يعتقد البعض أنها زوجة لوط تجمدت لتصبح عمود من الملح، ويشير البعض أن هذا التشكيل ما هو إلا ما ورد بالقرآن الكريم: *"وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ"* ، وقوله: *"أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ"*، وقوله: *"قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ."* بالتالي فهذا التشكيل الحجري ما هو إلا شاهد على امرأة لوط التي فتجمدت في مكانها، وأنها نقل عن السلف تخص زوجة لوط المتحجرة، فيما يرى بعض الجيولوجيين أنه ليس سوى تشكيل لحجر عادي. ويشار إلى أن هذا الحجر يقف بعيدًا على قمة الجبل وليس قريب من السياح لكن الكثير من السياح يتوقفون اسفل الجبل على حافة الطريق لإلتقاط الصور والاستماع للقصة من قبل الأدلاء السياحيين حيث يقدم كل منهم رؤيته ونظرته بهذا الحجر.

قصة مكان " كهف لوط"

قبل أن نتحدث عن كهف لوط لا بد أن نتحدث عن صوغر، فيقول الكتاب المقدس: *"وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ وَابْنَتَاهُ مَعَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ"*. (تك 19: 30-38) وصوغر كانت في فترة لوط مملكة صغيرة أقرب للقرية *" 20هُوَذَا الْمَدِينَةُ هذِهِ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا وَهِيَ صَغِيرَةٌ. أَهْرُبُ إِلَى هُنَاكَ. أَلَيْسَتْ هِيَ صَغِيرَةً؟ فَتَحْيَا نَفْسِي"* وهي تقع قرب الجبل أو أسفل المغارة التي سكن فيها لوط وابنتاه ردحًا من الزمن (عد 30)، واسم المدينة جاء لاحقًا *" 19: 22 اسرع اهرب الى هناك لاني لا استطيع ان افعل شيئا حتى تجيء الى هناك لذلك دعي اسم المدينة صوغر"* بينما كان اسمها في فترة لوط بالع وكان لها ملك من الذين كسرهم كدرلعومر (تك 13: 10؛ 14: 2، 8) وبقيت صوغر في أيام إشعياء وارميا، وقد ذكراها في موآب مما يجعلنا نظن أنها كانت على الضفة الموآبية أي الشرقية من البحر الميت (اش 15: 5؛ ار 48: 34) راجع أيضًا (تك 19: 37) وفي زمن المكابيين كانت تقع في حدود المملكة النبطية. وكانت حسب وصف يوسيفيوس إلى الطرف الجنوبي من البحر الميت، وهكذا ذهب أكثر المدققين من بطليموس إلى يوسيفوس وايرونيموس وغيرهم، والأغلب أنها كانت في الفترة اللاحقة تحت البحر الميت إلا أن انحسار البحر الميت في الفترة الأخيرة قد يكون جعلها خارج البحر الميت حاليًا، ولكن لم تكشف أي تنقيبات أثرية عن بقاياها – إن وجدت – حتى كتابة هذا الكتاب. أما كهف لوط فهو أحد الكهوف في المنطقة، ويقع على سطح الجبل المطل على بلدة غور الصافي، سُمي كذلك نسبه إلى لوط حيث التجأ إليه. ويقول الكتاب المقدس: *"30 وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ[15] أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ"*. (تكوين 19)

[15] لعل الخوف هنا هو من تكرار ما حدث، فقد يكون أهل هذه المدينة ما زالوا على معصيتهم، فخاف لوط على نفسه وعلى ابنتيه من أهل هذه المينة أو تكرار ما حدث في سادوم وعمورة.

أما ابنتا لوط فيذكرهما الكتاب المقدس، والقرآن الكريم كما يلي:

ذكرهما في القرآن: ورد ذكر ابنتي نبي الله لوط في سورة هود في سياق الحوار الذي دار بينه وبين قومه لما وفد عليه وفد من الملائكة مرسلين من عند الله لإخباره بالعذاب الذي سيصيب قومه: *وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ* (هود 77-80)

ذكرهما في الكتاب المقدس: تختلف القصة المذكورة في الكتاب المقدس عن تلك المذكورة في القرآن، اختلافًا بسيطًا، فزوجة لوط وبناته لم يكونوا مؤمنين. فالأم كان قلبها متعلِّقًا بالماضي (تك 19: 26)، وقد عرض لوط ابنتاه لإنقاذ الملاكان اللذان وصلا إلى سدوم (تك 19: 7، 8)، يذكر الكتاب المقدس أيضًا الفِعلة الفاحشة التي فعلتها الأبنتان بأبيهما لوط حينما أسقياه الخمر لينجبا منه أبناء بدون أن يدري (تك 19: 31-38)، وقد أنجبت الإبنتين من أبيهما ابنين من هذه الفاحشة وهما موآب (ابن ابنة لوط البكر) وبن عمي (ابن ابنة لوط الصغرى).

ويروي الكتاب المقدس عنهما ما يلي: *"31 وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. 32 هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً.« 33 فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. 34 وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً.« 35 فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، 36 فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. 37 فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِّيِينَ إِلَى الْيَوْمِ. 38 وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ"* (تكوين: 19). ويقدم التفسير هذا الفعل الغريب بأن ابنتيه فعلتا ذلك ليس عن

شهوه بل لإحداث نسل، وأن هذه الوسيلة التي تعتبر خطأ لا يتحملها لوط لانه لم يزنِ معهما لكنه يتحمل أنه ربى بناته في بيئة شريره فتشبعتا بالفكر الشرير، وقد يكون في تلك الفترة وفي تلك البيئة أن زواج المحارم ممكن رغم أنه لا يمكن قبوله لا دينيًا ولا منطقيًا.

أما الكهف فتشير الاكتشافات الأثرية إلى أنه استخدم لأول مرة في العصر البرونزي المبكر ما بين القرنين الخامس والسابع للميلاد.

وقد أقام المسيحيون ديرًا وكنيسة في الكهف، في القرن السادس أو السابع الميلادي، وقد أظهرت نقوش في الكنيسة مكتوبة باللغة اليونانية اسم المطران ورئيس الرهبنة، في حين كُشف في الكنيسة عن الهيكل والمذبح. ويحتوي الكهف على ساحة مبلطة بفسيفساء تعلوها رسومات لطيور وحيوانات وأشجار، تحكي قصة حياة لوط وقومه وكشف عن نقوش يونانية في الأرضية الفسيفسائية متأثرة بالفن النبطي والعصر الإسلامي تحكي قصة حياة لوط، وكان لاكتشاف الكنيسة ووجود فجوة في جانبها أن تقرر إجراء تنقيبات أثرية رسمية في الموقع، وخلال أعمال التنقيبات، تم العثور على كهف في الموقع، الأمر الذي دفع العمال بتاريخ 1991/9/15 الى الدخول في داخلها بهدف توسعتها؛ حيث اكتشفوا طوبا منحوتا بدقة يعود لسقف قبة، ومع الاستمرار في أعمال البحث والتنقيبات انتهى بهم الأمر الى اكتشاف كامل الكنيسة التي جاءت على شكل بازليكا[16] ذات ثلاثة محاريب فوق الكهف .

وفي النهاية اكتُشفت ثلاثة نقوش حجرية أكدت أن هذا المكان هو دير البار (القديس) لوط، وهو ما أكدته أيضا خارطة مادبا الفسيفسائية المشهورة التي تضمّ تصوير الموقع في القرن السادس الميلادي.

افتُتح الكهف رسميا أمام الحركة السياحية في عام 2002.

[16] البازليكا عمارة مستطيلة الشكل مقسم إلى ثلاثة أجزاء وهي:- الصحن المركزي الذي يتوسط المبني وجناحين علي جانبي البهو تفصل بينهما الأعمدة ولها حنية شرقية وبعض البزيليكات لها حنيتين شرقية وغربية.

ومن الجدير ذكره أنه في عام 2021 نشر عشرون عالمًا بينهم علماء في كيمياء الأرض، وعلماء جيومورفولوجيا، وعلماء معادن، وعلماء نباتات القديمة، وعلماء فيزياء فلكية وعلماء دين، من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وجمهورية التشيك مقالا طويلا ومفصلا مع رسوم توضيحية في مجلة Nature العلمية، عن الموقع المفترض لسدوم وعمورة. يتحدث المقال عن اكتشاف آثار في تل الحمام تمثل بقايا قريتين، يؤكد هؤلاء أن هاتين القريتين سدوم وعمورة، ويصف التقرير بأنهما قد دمرتهما بواسطة نيزك مشابه لنيزك سقط على الأرض عام 1908 في شرق سيبيريا وأدى انفجاره إلى وقوع عاصفة نارية شديدة. وقد عثر العلماء أثناء الحفريات في تل الحمام على آثار لكارثة ضخمة حدثت على تلك البقعة قبل 3600 عام. مع التنقيب وجدوا بقايا جدران ضخمة بسمك خمسة أمتار، وأنقاض العديد من المباني، وهناك كتل غير منظمة تتكون من الرماد والفحم والمعدن المنصهر والطوب الطيني المنصهر والخزفيات وقطع من عظام الإنسان والحيوانات، وتحول الرمل إلى زجاج بفعل الحرارة الشديدة. واكتشف العلماء من بين الأنقاض جزيئات مجهرية تتشكل عند ضغط هائل يبلغ نحو 400 طن لكل سنتيمتر مربع وعند درجة حرارة تزيد عن 1500 درجة مئوية. واكتشفت كذلك نفس الأشياء بالضبط في موقع سقوط نيزك (تونغو - سكا) التي شكلها كويكب، قتل سقوطه الديناصورات منذ 66 مليون عام. وعثر العلماء من بين القطع الآثرية الأخرى، على ما يسمى بـ"جسيمات كونية" وهي شوائب من حُبيبات صغيرة من البلاتين الذي يذوب عند درجة حرارة 1800 درجة مئوية، ومعادن أخرى تبلغ درجة انصهارها أكثر من 2500 درجة مئوية تقريبا ولا يمكن أن يتشكل أي شيء من هذا النوع أثناء ثوران بركان أو زلزال أو حريق ناجم عن العمليات العسكرية. وسبب ما حدث، كما يعتقد العلماء، هي كتلة بحجم نيزك "تونغو- سكا" قطرها 50-60 مترا وصلت للأرض بسرعة 61 ألف كيلومتر في الساعة، وانفجرت على ارتفاع نحو 4 كيلومترات، وكان الانفجار أقوى بمقدار ألف مرة من القنبلة الذرية التي أسقطت على هيروشيما. وكل مَن رأوا الوميض أصيبوا بالعمى على الفور، ثم انشووا، حيث ارتفعت

درجة حرارة الجو بسرعة إلى 2000 درجة مئوية. وبعد ثوان قليلة، وصلت موجة الانفجار إلى سطح الأرض لتنتشر بسرعة 1200 كيلومتر في الساعة.

لوط نبي أم بار

لوط، هو حسب النظرة الإسلامية نبيٌّ من أنبياء الله، ورسولٌ من رسله. ورد ذكر لوط في القرآن 27 مرة وفي مواضع متفرقة من القرآن. وورد معظمها في الأغلب في سياق سلسلة الأنبياء المتعاقبين وهم: نوح، هود، صالح، وشعيب. أما لوط عند المسيحيين فهو "بار" أو قديس، وليس نبي، ويفسر ذلك أن لوطًا لم ينل دعوه من الله بشكلٍ مباشر، ولم يذكر الكتاب المقدس أي نبوات له، ولم يكن يعرف شيئًا عن المستقبل، ولم يحدث على يديه المعجزات التي تؤيد نبواته، وجاء وصفه بالبار في رسالة بطرس الرسول الثانية 2: 7 *"وَأَنْقَذَ لُوطًا الْبَارَّ، مَغْلُوبًا مِنْ سِيرَةِ الأَرْدِيَاءِ فِي الدَّعَارَةِ."*

ومن الجدير ذكره أن الكثير من الآثاريين يشككون بأن الكهف المذكور يعود للنبي لوط كون النقش المذكور يقول أن الكنيسة والدير دير القديس لوط، وهو حسب رأيهم ليس سوى قديس ظهر في الفترة المسيحية وليس النبي لوط، إلا أن هؤلاء يتناسون بأن لوطًا المذكور هنا هو نفسه ووصفه بالقديس يتناسب والرأي المسيحي عنه، ومع ذلك فإن كان الكهف للوط أو لقديس مسيحي يحمل نفس الاسم فإن الاستخدام السياحي للمكان هو أنه كهف خصص للحادثة المذكورة في التوراة وليس لحدثٍ غيره.

هل بني عمون وبني مؤاب عرب أم لا؟

أوردنا سابقًا أن لإبراهيم ولدان هما: إسحق وإسماعيل. إِسْمَاعِيْل بن إبراهيم بن تارح هو عند المسلمين نبي من أنبياء الله، بينما في اليهودية والمسيحية هو عبارة عن إنسان صاحب مكرمة ورفعة دينية وذا رمزية. تم ذكره في العهد القديم في سفر التكوين، وهو يعتبر أب النسب للعرب الإسماعيليين أي العرب القيدرايون (قِيدَارُ هو ثاني أبناء إسماعيل بن إبراهيم، وتنسب إليه مملكة قيدار العربية بدومة الجندل المذكورة في كتابات الآشوريين)، والنبط (الأنباط هم مجموعة من العرب القدماء الذين كانوا يقطنون في جنوب الأردن وشمال الجزيرة العربية وينتمون إلى نبط بن إسماعيل) والعدنانيون (العرب العاربة العدنانية وهم القبائل التي تعود بأصلها إلى جد مشترك عرف عند النسّابة والإخباريين العرب باسم عدنان وهو جد الرسول محمد) ولذلك يطلق عليه أبو العرب المستعربة. بالتالي العمونيون والمؤابيون ليسوا من نسل إسماعيل. وسنرى في هذه الجزئية أن الصراع بين العمونيين واليهود والمؤابيين واليهود وهو جزء مهم من السياحة الدينية، ولا يمكن اغفالها.

الوصف المنطقي للعمونيين والمؤابيين أنهم شعوب سامية قديمة استوطنت في وسط الأردن الحالي منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد إلى جانب الأدوميين (إدوم بالعبرية تعني الأحمر، ويرتبط هذا الاسم بعيسو الابن الأكبر لإسحاق)، حيث أقاموا حضاراتهم في هذه المناطق واتَّخذ العمونيون من عمّون أو عمّان حالياً عاصمة لهم، والمؤابيون من ذيبان عاصمة لهم. وبما أنهما ليسا من نسل إسماعيل فلا يمكن أن نقول عنهم اسماعليين أو من نسل يعرب بن قحطان، وانقسم القول في نسب قحطان إلى أقوال عدة، منهم من قال إنه من ولد إسماعيل، ومنهم من قال إنه من ولد هود أو عابر كما يُعتقد.

وكما أسلفنا فإن بناء سردية أردنية تقابل السردية الصهيونية يحتاج إلى وضع أساسات متينة تبدأ من العصور الحجرية ومنها على سبيل المثال البيضا وعين غزال، ثم البناء على هذه الأساسات بناء متين مكون من ممالك عمون ومؤاب وآدوم وغيرها حتى الفترة التي تولى فيها آل هاشم حكم هذه البلاد، وأن كل من مر أو احتل أراضي كنعان ما هو إلا دخيل، سيزول مع مرور الوقت.

قصة مكان "النبي شعيب"

شُعَيْب كما جاء في القرآن، وهو نبي عربي عُرف بخطيب الأنبياء لحكمته وفصاحته، يقال أن جدته أو أمه هي بنت لوط، والثابت في نسبه أنه من سلالة إبراهيم واختلفت الأقول حول أسماء وتسلسل أبائه إلى إبراهيم.

أُرسل شعيب إلى قوم مَدْيَن أو ما عُرف عند المفسرين بأصحاب الأيكة. والأيكة إحدى قبائل العرب القديمة، وكانوا يقطنون في الجهة الشماليّة الغربيّة لشبه الجزيرة العربيّة، ولهم العديد من الآثار في السعوديّة، وقد كانوا يبنون منازلهم في الجبال الصخريّة، وامتهنوا رعاية الغنم والتجارة، وأطلق عليهم هذا الاسم لأنّهم كانوا يعبدون شجر الأيك، وهو شجر ملتف على بعضه البعض، كما عرفوا بالغش في الأوزان، فبعث الله لهم النبي شعيب لهدايتهم، ولكنّهم لم يستجيبوا له.

ذكر القرآن الكريم أنّ قوم مدين كانوا بالقرب من قوم ثمود (قوم ثمود نسبةً إلى جدهم ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح. وقيل ثمود بن عاد بن إرم، وقيل ابن عاد بن عوص بن إرم. وقيل ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل ثمود بن جابر بن ارم بن سام وقيل ثمود بن جابر بن سام بن نوح، وهم قوم ورد ذكرهم في القرآن، وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال، وقد ورد اسم ثمود في نصوص الآشوريين في إحدى معارك سرجون الثاني؛ انتهت بانتصار آشور وإخضاع الثموديين. وقوم ثمود من العرب البائدة، وقد أرسل الله إليهم النبي صالح[17]، يدعوهم لعبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان، فاستجابوا لدعوته، ثم ارتد بعضهم وعقروا الناقة التي أرسلها الله لهم آية، وتحدَّوا صالحًا أن يأتيهم بالعذاب، ودبروا مكيدة لقتل صالح وأهله، فأهلكهم الله ونجَّي صالح والمؤمنين).

"وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (85) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ

[17] لم يرد ذكر النبي صالح في الكتاب المقدس.

صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (86) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (87) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (88) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (90) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (92) (الأعراف)

أما شعيب في اليهودية فورد اسمه في العهد القديم رعوئيل أو يثرون أي صاحب الفضيلة، ويقال له بالسريانية يثرون أو ثابور وكان كاهنًا في مدين[18]، وكان له سبعة بنات، اتخذ موسى إحداهن زوجة وهي صفورة. ويختلف العلماء حول ما كان هو نفسه حوباب أم لا *"وَبَنُو الْقَيْنِيِّ حَمِي مُوسَى صَعِدُوا مِنْ مَدِينَةِ النَّخْلِ مَعَ بَنِي يَهُوذَا إِلَى بَرِّيَّةِ يَهُوذَا الَّتِي فِي جَنُوبِيِّ عَرَادَ، وَذَهَبُوا وَسَكَنُوا مَعَ الشَّعْبِ."* (قض 1: 16). *"وَحَابِرُ الْقَيْنِيُّ انْفَرَدَ مِنْ قَايِنَ، مِنْ بَنِي حُوبَابَ حَمِي مُوسَى، وَخَيَّمَ حَتَّى إِلَى بُلُوطَةٍ فِي صَعَنَايِمَ الَّتِي عِنْدَ قَادَشَ...* (قض 4: 11-24)، وقد يكون يحمل عدة أسماء منها حبير القيني ويتيئيل.

---

[18] مَديَن أو المدينيين (أصحاب الأيكة)، اسم قبيلة من العرب القدماء في شمال غرب الجزيرة العربية تقع آثار مساكنهم بالقرب من مدينة البدع التابعة لمنطقة تبوك التي تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية، ويسمى القسم الشمالي من الحجاز ب(أرض مدين) نسبة لهم.
ومدين اسم سامي معناه "محكمة"، أو "نزاع"، أو "مخاصمة"، ويعتقد البعض أن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة على موآب وطور سيناء. وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر وكانوا في رفقة الإسماعيليين لما بيع يوسف (تك 37: 28؛ قابل تك 37: 36). وكان الإسماعيليون من سكان مديان وسكن موسى مدة في مديان (خر 2: 15، 22؛ عد 10: 29). والمنطقة التي تقع شرقي خليج العقبة تسمى الآن "مديان." ويصعب جدًا تعيين موقع وحدود بلاد مديان. ففي (سفر التكوين 25: 6) لا نجد إلا أنها كانت في أرض المشرق" (تك 25: 6)، مما قد يعني أي مكان من جبل حرمون وشرقًا إلي نهر الفرات، وجنوبًا إلي جنوبي شبة الجزيرة العربية. ولعلها كانت أيضًا تشمل الجزء الشرقي من صحراء سيناء المجاور لخليج العقبة. ويتفق معظم العلماء علي أن "بلاد مديان" كانت تطلق أساسًا علي المنطقة الواقعة شرقي خليج العقبة في شبه الجزيرة العربية. وقد ذكر الجغرافي القديم بطليموس بلاد "موديانا" و"مديانا". والأرجح أن "مديانا" هي "مديام" التي ذكرها يوسابيوس المؤرخ الكنسي، ويغلب أنها هي "البيد" الواقعة إلى الشرق من خليج العقبة. كما ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي أنها تقع علي ساحل البحر الأحمر، أي على خليج العقبة. وحيث أن الْمِدْيَانِيّين كانوا من البدو الرحل، فإنهم لم يبنوا مدنًا، ولم يذكر لهم اسم مدينة، ونشأت علاقة بين قبيلة "الحيفة" التي جاء ذكرها في قوائم تغلث فلاسر الثالث ملك أشور، و"عيفة" أحد أبناء مديان (تك 25: 4)، فيذكر الملك الأشوري أن تلك القبيلة دفعت له الجزية، ذهبًا وفضة وجمالًا وأطيابًا. ويجمع إشعياء النبي بين مديان وعيفة وشبا (إش 60: 6).

لُقّب "رعوئيل" باسم "يثرون" أي صاحب الفضيلة أو صاحب السمو أو صاحب الغبطة، ولعل اسم يثرون يمثل لقب الشخص الذي يشغل منصب كاهن مديان *"فلما أتينَ إلى رعوئيل أبيهن قال.."* (خر 2: 18) *"وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان"* (خر 3: 1) *"فمضى موسى ورجع إلى يثرون حميه"* (خر 4: 18) يُقال أن حمى موسى كان يعبد إله إبراهيم، كما يوحي بذلك اسمه "رعوئيل" أي "صديق إيل" حيث "إيل" هو التعبير الذي أطلقه الآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب على "الله".

يعتقد علماء المسلمين أن حوباب هو نفسه شعيب، وقد رافق حوباب بني إسرائيل في رحلتهم كمرشد لهم في دروب الصحراء، بينما ذكر سفر العدد حوباب بأنه ابن رعوئيل *"29 وَقَالَ مُوسَى لِحُوبَابَ بْنِ رَعُوئِيلَ الْمِدْيَانِيِّ حَمِي مُوسَى: «إِنَّنَا رَاحِلُونَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ أُعْطِيكُمْ إِيَّاهُ. اِذْهَبْ مَعَنَا فَنُحْسِنَ إِلَيْكَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ عَنْ إِسْرَائِيلَ بِالإِحْسَانِ»* (العدد: 10)

ويثرون، هو شخصية مهمة في الديانة الدرزية. ويُعتبر نبيًا في العقيدة الدرزية. ومقامه عندهم في فلسطين المحتلة في حطين في الجليل الأسفل وهو أقدس مزار وأهم موقع حج للدروز. يُقدَّر يثرون باعتباره النبي الأكبر في الديانة الدرزية، ويعتقدون أنه كان «نبيًا خفيًا» و«حقيقيًا» تواصل مباشرةً مع الله ثم نقل هذه المعرفة إلى موسى، والذي يصفونه بأنه «نبي معترف به» و«نبي موحى». وفقًا للعقيدة الدرزية، سمح لموسى أن يتزوج صفورة، ابنة يثرون، بعد أن ساعد في إنقاذ بناته وقطعانهم من الرعاة المتنافسين.

مكان بشارة شعيب أو يثرون:

ويعتقد أن بداية دعوته كانت من الصحراء جنوب معان إلى معان وما حولها ثم إلى وادي الموجب وثم المناطق الشرقية من البحر الميت، ويأتي الدليل القرآني على ذلك: *وما قوم لوط منكم ببعيد* سورة هود الاية 89. أما في التوراة فيبدو المكان في سيناء حتى السعودية: *"وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ."* (خر 3: 1).

أما مقام النَّبي شُعيب في الأردن فيقع في منطقة وادي شعيب جنوب مدينة السلط في الأردن، وهو عبارة عن مسجد حديث فيه قبرٌ يُنسب للنبي شعيب، وتم إنشاء المسجد وتأهيله عام 2003، ويشتمل على مصلى للرجال وآخر للنساء، والمقام، وقاعة متعددة الأغراض، ومكتبة، وغيرها من الخدمات. وكان المبنى القديم يتألف من غرفة المقام يعلوها قُبّة صغيرة وبداخلها مقام النبي شعيب، ويتوافد عليه آلاف الزوار سنويًا معظمهم من دول شرق أسيا.

قصة مكان "النبيان موسى وهارون"

موسى نبي من سبط لاوي بن يعقوب حسب سفر الخروج 1:2 وهو الزعيم الذي أمره الرب بالخروج ببني إسرائيل من مصر (أرض العبودية) إلى أرض الميعاد، وهو كذلك مشرّع الديانة اليهودية. تلقف الوصايا العشر من الرب منقوشة على لوحين في جبل حوريب، وهي الوصايا التي بني عليها الدين اليهودي، والتي تعتبر أيضًا جزء من العقيدة المسيحية. ولد في مصر وقضى طفولته وشبابه فيها في كنف آل فرعون، أما هارون فكان شقيقه، ثم معاونًا له بأمرٍ رباني، ويعتبر هارون مؤسسًا للسبط الكهنوتي اليهودي. واشتهر من آل موسى عدد من الشخصيات الكتابية الأخرى مثل مريم أخته الكبرى، وصفورة زوجته الأولى ابنة كاهن مديان، وجرشوم بكره. بكل الأحوال، فإن موسى ترك خلافته بعد موته على جبل نيبو إلى يشوع بن نون بناءً على أمر إلهي (تث 9:34).

نسب التوراة إلى موسى وفيها تدور كل أمور الخروج، ومعجزات قام بها موسى بأمر إلهي كشقّ البحر الأحمر، والعصا التي تحولت إلى أفعى، وضرب مصر بالضربات العشر. مات موسى بعمر المئة وعشرين سنة، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته سفر التثنية 7:34. ويعتبر موسى نبيًّا مهمًا في الإسلام فهو من أولي العزم من الرسل، والشخصية الأكثر ذكرًا في القرآن.

لا وجود لدليل أثري أو تاريخي غير ديني يدعم إثبات وجود موسى، لذا فقد اعتبر بعض الباحثين أن موسى بل كامل التوراة اسطورة وجدت زمن السبي البابلي، نظرًا لتشابه رواية انتشال موسى مع رواية انتشال سرجون الأكادي، غير أن عددًا آخر من الباحثين دافعوا عن تاريخية موسى.

يُعتقد أن الفترة التي ظهر فيها موسى كانت ما بين 1391 - 1271 قبل الميلاد، وبعض الدراسات التاريخية تعيده للقرن الخامس عشر أو تقربه للقرن الحادي عشر قبل الميلاد، أما فرعون الذي عاصر موسى فقد يكون تحتمس الثالث أو رمسيس الثاني أو مرنبتاح رغم عدم وجود أي دلائل أثرية حتى تاريخ كتابة هذا

الكتاب يدعم هذا الأمر، وأكد هذا الأمر عالم الآثار المصري الشهير زاهي حواس حيث قال أنه لا توجد أدلة لتواجد أثري إسرائيلي في مصر، مشيرا إلى أنه لا توجد أي برديات تتحدث عن بني إسرائيل في مصر، ورغم ذلك فإن ما كُشِف من آثار فرعونية في مصر حتى كتابة هذا الكتاب لا يزيد عن ثلث الآثار المتوقعة للفراعنة.

عبور الأردن

1- عصيون جابر: *"ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَبْرُونَةَ وَنَزَلُوا فِي عِصْيُونَ جَابَرَ"* (عدد 33: 35) وهي مدينة بمملكة إدوم، على الطرف الشمالي من خليج العقبة لكنها خارج الحدود الأردنية. ذكرت عصيون جابر ست مرات في التوراة، ووفقًا لسفر العدد فهي واحدة من محطات بني إسرائيل في البرية أثناء التيه بعد خروجهم من مصر بين ترحالهم من عبرونة إلى برية صين. يعتقد أن ذلك المكان هو تل الخليفة، على بعد 150 متر من ساحل البحر، بدأت أهميتها زمن النبي سليمان الذي بنى فيها أسطوله في البحر الأحمر. وسيطر على التجارة مع شبه الجزرة العربية عن طريق البر والبحر. ولكن تلك السيطرة ضعفت بعد وفاة سليمان النبي، واستولت عليها مملكة إدوم فيما بعد، كما جاء في سفر الملوك الأول 9: 26 - 28: *وَعَمِلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ سُفُنًا فِي عِصْيُونَ جَابَرَ الَّتِي بِجَانِبِ أَيْلَةَ[19] عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ سُوفٍ[20] فِي أَرْضِ أَدُومَ. فَأَرْسَلَ حِيرَامُ فِي السُّفُنِ عَبِيدَهُ النَّوَاتِيَّ الْعَارِفِينَ بِالْبَحْرِ مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ، فَأَتَوْا إِلَى أُوفِيرَ[21]، وَأَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ ذَهَبًا أَرْبَعَ مِئَةِ وَزْنَةٍ وَعِشْرِينَ وَزْنَةً، وَأَتَوْا بِهَا إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ.*

2- جبل هور (جبل هارون): توفي هارون قبل أخيه موسى ودُفن على قمة جبل بالقرب من مدينة البترا. ويسمّى الجبل الآن بجبل هارون نسبة للنبي هارون. (*36 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عِصْيُونَ جَابَرَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ وَهِيَ قَادَشُ.37 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قَادَشَ وَنَزَلُوا فِي جَبَلِ هُورٍ فِي طَرَفِ أَرْضِ*

[19] العقبة
[20] البحر الأحمر
[21] منطقة مجهولة لكن الأغلب أنها جنوب البحر الأحمر.

أَدُومَ. 38 فَصَعِدَ هَارُونُ الْكَاهِنُ إِلَى جَبَلِ هُورٍ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ، وَمَاتَ هُنَاكَ فِي السَّنَةِ الأَرْبَعِينَ لِخُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فِي الشَّهْرِ الخَامِسِ فِي الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ. 39 وَكَانَ هَارُونُ ابْنَ مِئَةٍ وثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ فِي جَبَلِ هُورٍ. (سفر العدد الإصحاح 33). وفي رواية وفاة هارون عليه السلام حسب الفكر الإسلامي: قال السدّي: أوحى الله عز وجل إلى موسى: أني متوفي هارون، فأت به جبل كذا وكذا، فانطلق موسى وهارون نحو الجبل، فإذا هما بشجر لم ير شجر مثلها، وإذا بيت مبني فيه سرير عليه فرش، وإذا فيه ريح طيبة، فلمّا نظر هارون إلى ذلك بجنبه أعجبه، وقال: يا موسى إنّي أحب أن أنام على هذا السرير، قال: فنم عليه، فقال: إنّي أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ، قال له موسى: لا، أنا أكفيك رب هذا البيت فنم، قال: يا موسى بل نم معي فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعًا، فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حتفه قال: يا موسى خذ عيني، فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة، ورفع السرير إلى السماء، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون، قالوا: إنّ موسى قتل هارون وحسده حبّ بني إسرائيل له، فقال موسى: ويحكم فإنّ أخي أُمر ولن أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه. وقال عمرو بن ميمون: كان وفاة موسى وهارون في التيه، ومات هارون قبل موسى. فكانا خرجا في التيه إلى بعض الكهوف، فمات هارون ودفنه موسى، وانصرف إلى بني إسرائيل، فقالوا: ما فعل هارون؟ قال: مات، قالوا: كذبت ولكنك قتلته لمحبّتنا إياه، وكان محببًا في بني إسرائيل. فتضرع موسى إلى ربّه وشكى ما لقي من بني إسرائيل، فأوحى الله عز وجل إليه أن انطلق بهم إلى قبر هارون حتى تخبرهم أنه مات موتًا ولم تقتله، وانطلق بهم إلى قبر هارون فنادى: يا هارون فخرج من قبره ينفض من رأسه فقال: أنا قتلتك؟ قال: لا والله ولكنّي متّ قال: فعد إلى مضجعك، وانصرفوا. أما الرواية التوراتية فتقول: توفي هارون على قمة جبل هور، عن عمر يبلغ 123 عام بعد أن قام بخلع رداء الكهنوت

على ابنه أليعازر بناءً على أمر يهوه لموسى: *(خذ هارون وأليعازر ابنه واصعد بهما إلى جبل هور واخلع عن هارون ثيابه والبس أليعازر ابنه إياها...)* العدد20:25-27. أما المقام فيعود تاريخه إلى العهد المملوكي، والضريح عبارة عن غرفة وساحة صغيرة، وتعلو الغرفة قبة بيضاء كتب على أعلى باب المقام تاريخ تجديده سنة 709 هـ والقبر مجلل بخلعه خضراء وأمامه حجر أسود. ويقع المقام في أعلى نقطة في البترا وعلى ارتفاع 135م، ويتألف البناء من مسجد تعلوه قبة وقرب الموقع كنيستين بيزنطيتين: الأولى قياساها 13.20 * 22.60 م على المخطط البازيليكي وهو يتشكل من صالة وسطى وجناحين، ويقسمهما من الداخل صفا أعمدة يتألف كل منهما من سبعة أعمدة استبدلت فيما بعد بدعامات، وكانت المسافة بين الأعمدة نحو 2.50 م، ويتشكل الهيكل من محراب نصف دائري داخلي وغرفتين جانبيتين، بحيث يرتفع كل من المحراب والخورس بدرجتين عن مستوى الكنيسة. وعندما تعرضت الكنيسة للدمار أعيد بناؤها وأُحدثت فيها تغييرات منها وضع دعامات بدل الأعمدة، وقد رفعت في هذه المرحلة أرضية المحراب والخورس وتم اختصار طول الكنيسة بجدار ورصفت الباحة بألوان من الحجر الرملي، وأصبح المحراب مسقوفًا بنصف قبة والغرف الجانبية حملت سقوفها على أقواس وقد بلطت أرضية المحراب بالرخام. يتبع البناء مصلى على نمط كنيسة قاعة 6.40 م*16 م بمحراب داخلي ويقع إلى الشمال من الكنيسة وقد يكون معاصرًا للكنيسة أو مضافًا في فترة لاحقة، يتبع الكنيسة ساحتان حولهما غرف، الجزء الشمالي كان على الأرجح نزلًا للحجاج. وتُعَد الكنيسة جزء من دير بمساحة 75م*45م، حيث كُشف عن مقاعد رجال الدين في المحراب ومكان كرسي المطران وسط المحراب وهذه المقاعد تخص البناء الأول، بينما هناك أيضًا مقاعد حجرية عند مدخل الكنيسة تمت زيادتها في المراحل اللاحقة، كما عثر على قطع رخامية من حاجز الهيكل وعمود من الحاجز. وعثر في الموقع على أرضيات فسيفسائية ترجع للقرن السادس الميلادي، حيث تعرضت الصور فيها للتخريب،

اللوحة كانت تضم مشاهد صيد لحيوانات مفترسة وأشكال هندسية منها مربعات متشابكة، كما عُثر على كسر من الجص الملون بالأحمر مما يشير إلى وجود زخارف جدارية، وبقيت كلمات يونانية منقوشة على قطع من حاجز الهيكل منها (المعين والقديس جورجيوس)، أما الكنيسة الثانية فتقوم أسفل مزار ولي ويعود المزار للفترة الإسلامية ربما للقرن الرابع عشر الميلادي، حيث كان من الصعب تتبع مخططها وبالتالي تحديد نمطها بدقة.

3- المرور عبر أرض أدوم وكنعان: مملكة أدوم أو إدوم أو إدوميا مملكة وجدت في الفترة العمونية والمؤآبية، وحدودها من الشمال مملكة موآب ومن الغرب وادي عربة ومن الجنوب صحراء شبه الجزيرة العربية حتى خليج العقبة ومن الشرق الصحراء العربية. وتقع معظم أراضيها في الأردن إلى الجنوب من مملكة مؤآب ويمتد جزء منها إلى جنوب فلسطين المحتلة. ومملكة آدوم هم نسل عيسو أو أدوم *(1 وَهذِهِ مَوَالِيدُ عِيسُوَ، الَّذِي هُوَ أَدُومُ* سفر التكوين 36*)* وكان بني أدوم على الأغلب يحملون عداوة إتجاه اليهود ترجع إلى أيام يعقوب وعيسو حيث اغتصب الأول البكورية منه (تكوين 27). وتظهر أدوم في السجلات التاريخية المكتوبة المتعلقة بأواخر العصر البرونزي والعصر الحديدي في المشرق، تشمل هذه السجلات المكتوبة كل من التناخ وسجلات فرعونية وسجلات من بلاد الرافدين، حيث ذُكرت في قائمة للفرعون المصري سيتي الأول (ماعت رع) نحو عام 1215 قبل الميلاد بالإضافة إلى سجل إحدى الحملات العسكرية لرمسيس الثالث (الذي حكم بين عامي 1186 و1155 قبل الميلاد)، والإدوميون شعبًا ساميًا يعود لأدوم كما أسلفنا وصل إلى منطقة غالبًا نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد وانتهت هذه المملكة غالبًا في القرن السادس قبل الميلاد، ومن تبقى من الأدوميين هاجر نحو جنوب فلسطين على ما يظن. وقد أرسل موسى إلى ملك أدوم رسلا من قادش يطلب فيها المرور عبر أراضيه فرفض ملك أدوم وهدده بالحرب فتحول مسار العبرانيين من المرور بأرض آدوم إلى أرض كنعان (العدد 20:

14 – 29) أما الأراضي التي مر اليهود بها بأدوم كما ورد في سفر العدد الإصحاح 33 فهي: *33 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ حُورِ الْجِدْجَادِ وَنَزَلُوا فِي يُطْبَاتَ.* أما حور الجدجاد فهو منطقة ما غير معروفة شمالي خليج العقبة ولكن لا يمكن معرفة هل هي ضمن الحدود الأردنية حاليًا أو ضمن حدود فلسطين المحتلة ويطبات أو بالعربية الطيبات، وكانت أرض أنهار ماء حسب الكتاب المقدس، فيحتمل أن تكون المنطقة التي تشغلها حاليًا مستوطنة يوتوفاتا أو يوتفاتا أو يطفتا والتي تبعد 40 كم شمالي خليج العقبة ضمن أراضي فلسطين المحتلة في صحراء النقب أو قد تكون سبخة طابا وبئر طابا، التي تبعد حوالي 40 كم شمالي مدينة العقبة الأردنية، في منطقة وادي عربة، في داخل الأراضي الأردنية، بكل الأحوال هي منطقة ما شمال العقبة بحدود 40 كم. *34 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ يُطْبَاتَ وَنَزَلُوا فِي عَبْرُونَةَ.* ولعل عبرونة تلك المنطقة التي يطلق عليها الآن عين دفية جنوبي فلسطين المحتلة شمال خليج العقبة، على بعد يقارب 12 كم شمال خليج العقبة، لكن هذا التحديد غير مؤكد لا تاريخيًا ولا أثريًا، ثم يقول: *35 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عَبْرُونَةَ وَنَزَلُوا فِي عِصْيُونَ جَابَرَ. 36 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ عِصْيُونَ جَابَرَ وَنَزَلُوا فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ وَهِيَ قَادَشُ.* وقادش حسب المصادر المتعددة لا يمكن تحديدها بسهولة، لكن برية صين كانت مساحة واسعة، وهي منطقة جغرافية ذكرتها التوراة باعتبارها تحتوي على برية قادش بداخلها؛ ومعظم المصادر الكتابية تحدد موقعها كجزء من وادي عربة، وحسب سفر يشوع فإنها ملاصقة للحدود الجنوبية لكنعان، وهي حد لإدوم غربًا وليهوذا إلى الجنوب الشرقي، وكانت جزءًا من بريّة فاران أو كانت قادش حدًا بينهما. وذُكر في سفر العدد الاصحاح 27 أن بني إسرائيل عصوا الرب في برية صين *(14: لأَنَّكُمَا فِي بَرِّيَّةِ صِينَ، عِنْدَ مُخَاصَمَةِ الْجَمَاعَةِ، عَصَيْتُمَا قَوْلِي أَنْ تُقَدِّسَانِي بِالْمَاءِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ». ذلِكَ مَاءُ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينَ).* وهنا لا بد من ذكر بعض الملاحظات أولها أن قادش اسم لموقع جغرافي ذُكر في العديد من المواضع في الكتاب المقدس، حيث يصف مساحة جغرافية واسعة تقع جنوب أرض كنعان ومملكة يهوذا،

فيذكر قادش أو قادش برنيع كموقع رئيسي لتخييم اليهود أثناء تجولهم في صحراء صين (سفر التثنية 1:46)، وكذلك المكان الذي تم إرسال الجواسيس اليهود منه إلى كنعان (العدد 13: 1-26)، ومنه كانت أول محاولة فاشلة للاستيلاء على كنعان من قادش، وكذلك الموقع حيث ضرب موسى الصخرة بعصاه فانفجرت منها المياه في قادش، وماتت أخته مريم وأخيه هارون ودُفنا بالقرب من مكان يُدعى قادش. وأرسل موسى مبعوثين إلى ملك إدوم من قادش، وطلب الإذن للسماح لليهود بالمرور عبر أراضيه، وهو ما رفضه ملك إدوم كما أسلفنا، يشار إلى أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي ربط قادش بمدينة البترا في الأردن. أما النقطة الثانية فهي أن جبل عباريم جزء لا يتجزء من برية صين، وقد يكون جبل عباريم سلسلة من الجبال التي تمتد من الجنوب للشمال ويقع ضمنها جبل عباريم وجبل هور وجبل نيبو. *37 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ قَادَشَ وَنَزَلُوا فِي جَبَلِ هُورٍ فِي طَرَفِ أَرْضِ أَدُومَ*. أي أنهم لم يدخلوا أراضي أدوم بل الطرف وهو ما لا يتفق وحدود أدوم حسبما نعرف ولعل تلك المنطقة كانت في تلك الفترة محايدة أو خارج سيطرة الآدوميين لكن لا نملك المعلومة الكافية تاريخيًا أو أثريًا، أما جبل هور فهو جبل هارون كما أسلفنا، ثم يتابع: *41 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ وَنَزَلُوا فِي صَلْمُونَةَ*. وصلمونة قد تعني السلمانة وقد تكون منطقة السلماني شمال غرب فينان لكن أيضًا هذا غير مؤكد أثريًا، ثم يقول: *42 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ صَلْمُونَةَ وَنَزَلُوا فِي فُونُونَ*. وفونون هي فينان وتقع في وادي عربة في الأراضي الأردنية، كانت مركزًا لمناجم الحديد والنحاس. ثم يقول: *43 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ فُونُونَ وَنَزَلُوا فِي أُوبُوتَ*. ولعلها عين الويبة وهي منطقة تقع بالقرب من حدود مؤآب الجنوبية، ثم يقول: *44 ثُمَّ ارْتَحَلُوا مِنْ أُوبُوتَ وَنَزَلُوا فِي عَيِّي عَبَارِيمَ فِي تُخُمِ مُوآبَ*. وهي منطقة مجهولة لكنها على حدود مؤآب الجنوبية، ووصل العبرانيون إلى أتاريم *1 وَلَمَّا سَمِعَ الْكَنْعَانِيُّ مَلِكُ عَرَادَ السَّاكِنُ فِي الْجَنُوبِ أَنَّ إِسْرَائِيلَ جَاءَ فِي طَرِيقِ أَتَارِيمَ، حَارَبَ إِسْرَائِيلَ وَسَبَى مِنْهُمْ سَبْيًا. 2 فَنَذَرَ إِسْرَائِيلُ نَذْرًا لِلرَّبِّ وَقَالَ: «إِنْ دَفَعْتَ هؤُلاَءِ*

الْقَوْمَ إِلَى يَدِي أُحَرِّمُ مُدُنَهُمْ». 3 فَسَمِعَ الرَّبُّ لِقَوْلِ إِسْرَائِيلَ، وَدَفَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ، فَحَرَّمُوهُمْ وَمُدُنَهُمْ. فَدُعِيَ اسْمُ الْمَكَانِ «حُرْمَةَ». 4 وَارْتَحَلُوا مِنْ جَبَلِ هُورٍ فِي طَرِيقِ بَحْرِ سُوفٍ لِيَدُورُوا بِأَرْضِ أَدُومَ، فَضَاقَتْ نَفْسُ الشَّعْبِ فِي الطَّرِيقِ (العدد 21: 1-4) فيبدو أن العبرانيين ساروا بعد خروجهم من جبل هور (جبل هارون) نحو الشمال حتى وصولوا إلى طريق أتاريم أو "طريق الجواسيس" أو "طريق القوافل"، وهو اسم لطريق غير بعيد من عراد التي تقع على بعد 25 كيلومتر غرب البحر الميت و45 كيلومتر شرق بئر السبع في النقب جنوبي فلسطين فحاربهم ملكها وسبى منهم سبيًا (عدد21: 1) ومنها إلى أوبوت سابقة الذكر ثم إلى عباريم ثم إلى وادي زارد (وادي الحسا) الحدود الجنوبية المعروفة لمملكة مؤاب.

4- المرور عبر أرض الأموريين وأرض مؤاب: كانت مملكة مؤآب مملكة مهيبة في مقاييس عصرها، لكن لا يمكن أن نحدد حدودها فعليًا في تلك الحقبة الزمنية وإن كانت تعتمد على بعض المظاهر الطبيعية كفواصل بينها وبين الممالك التي تجاورها، لكن حدود مملكة مؤاب كانت تقريبًا تخضع لعدد من التغيرات، بسبب الحروب وحالات القوة والضعف التي مرت بها المملكة، فكانت تتوسع أحيانا أخرى مقتطعة أراض من ممالك مجاورة، بينما كانت تخسر جزءاً من أراضيها أحيانا لصالح تلك الممالك، لكن على ما يبدو فإن مملكة مؤاب كان يحدها من الغرب البحر الميت، ومن الشرق مدينة عمون (عمان) والصحراء العربية ومن الجنوب مملكة إدوم ووادي زارد (الحسا). أما من الشمال فالأغلب أنها حدود البحر الميت الشمالية بخط مرسوم أفقيًا نحو الصحراء أو قد يكون نهر أرنون (وادي الموجب)، وذكر في سفر حزقيال (25: 9) *بَيْتِ بَشِيمُوتَ وَبَعْلِ مَعُونَ وَقِرْيَتَايِمَ* هي حدود هذه المملكة. وأن عاصمة هذه المملكة كانت في مرحلة ما الكرك (قير مؤآب) وفي مرحلة أخرى ذيبان (ديبون)، وانتهت هذه المملكة بتحالف المؤابيون مع مصر ضد المملكة البابلية سنة 591 ق.م. حيث جهز نبوخذ نصر ملك بابل حملة ضد هذا الحلف سنة

589 ق.م. واحتل كل الطرق المؤدية إلى مصر، وسيطر على القدس سنة 586 ق.م. ثم زحف إلى كل من المملكة المؤابية والمملكة العمونية، وحمل بعضًا من سكانهما معه إلى بابل، في حين فرّ آخرون إلى مصر. ومع نهاية القرن السادس قبل الميلاد تلاشت مملكة مؤاب ولم يعد لها ذكر، وصارت أراضيها ضمن مملكة الانباط وشعبها مواطنون أنباط. ويخبرنا سفر العدد بأن العبرانيين وصلوا لوادي أرنون (الموجب) خارج تخوم الأموريين أي الحد الفاصل بين الأموريين والمؤابيين *13 مِنْ هُنَاكَ ارْتَحَلُوا وَنَزَلُوا فِي عَبْرِ أَرْنُونَ الَّذِي فِي الْبَرِّيَّةِ، خَارِجًا عَنْ تُخُمِ الأَمُورِيِّينَ. لأَنَّ أَرْنُونَ هُوَ تُخْمُ مُوآبَ، بَيْنَ مُوآبَ وَالأَمُورِيِّينَ.* ومن هناك رحلوا متانة التي قد تكون قرب ماعين إلى نَحْلِيئِيلَ وهي منطقة نجهلها بين ماعين وجبل نيبو ومن نحليئيل إلى باموت التي قد تكون باموت بعل أو خربة القويقية والتي ورد ذكرها في حجر موآب باسم "بيت باموت" والتي أعاد بناءها ميشع ملك مؤآب كما ورد في مسلته «بيت باموت لأنها كانت مدمرة». (السطر ٢٧ من الحجر الموآبي)، كما ورد ذكرها في (يش 13: 17) بين ديبون وبيت بعل ماعون، على بُعْد 4 كم جنوبي جبل نيبو، منها إلى الجواء 20 *الْجِوَاءِ الَّتِي فِي صَحْرَاءِ مُوآبَ عِنْدَ رَأْسِ الْفِسْجَةِ الَّتِي تُشْرِفُ عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّةِ.* وهي المنطقة يعتقد أنها إلى الغرب من مادبا حاليًا. وهذا كله ورد في سفر العدد الإصحاح *21. وهناك أيضًا طلب موسى من ملك الأموريين أن يمر بأراضيه 21 وَأَرْسَلَ إِسْرَائِيلُ رُسُلاً إِلَى سِيحُونَ مَلِكِ الأَمُورِيِّينَ قَائِلاً: 22 «دَعْنِي أَمُرَّ فِي أَرْضِكَ. لاَ نَمِيلُ إِلَى حَقْل وَلاَ إِلَى كَرْمٍ وَلاَ نَشْرَبُ مَاءَ بِئْرٍ. فِي طَرِيقِ الْمَلِكِ نَمْشِي حَتَّى نَتَجَاوَزَ تُخُومَكَ». 23 فَلَمْ يَسْمَحْ سِيحُونُ لإِسْرَائِيلَ بِالْمُرُورِ فِي تُخُومِهِ، بَلْ جَمَعَ سِيحُونُ جَمِيعَ قَوْمِهِ وَخَرَجَ لِلِقَاءِ إِسْرَائِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، فَأَتَى إِلَى يَاهَصَ وَحَارَبَ إِسْرَائِيلَ. 24 فَضَرَبَهُ إِسْرَائِيلُ بِحَدِّ السَّيْفِ وَمَلَكَ أَرْضَهُ مِنْ أَرْنُونَ إِلَى يَبُّوقَ إِلَى بَنِي عَمُّونَ. لأَنَّ تُخُمَ بَنِي عَمُّونَ كَانَ قَوِيًّا. 25 فَأَخَذَ إِسْرَائِيلُ كُلَّ هذِهِ الْمُدُنِ، وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الأَمُورِيِّينَ فِي حَشْبُونَ وَفِي كُلِّ قُرَاهَا. 26 لأَنَّ حَشْبُونَ كَانَتْ مَدِينَةَ سِيحُونَ مَلِكِ*

الأَمُورِيِّينَ، وَكَانَ قَدْ حَارَبَ مَلِكَ مُوآبَ الأَوَّلَ وَأَخَذَ كُلَّ أَرْضِهِ مِنْ يَدِهِ حَتَّى أَرْنُونَ. 27 لِذلِكَ يَقُولُ أَصْحَابُ الأَمْثَالِ: «اِئْتُوا إِلَى حَشْبُونَ فَتُبْنَى، وَتُصْلَحَ مَدِينَةُ سِيحُونَ. 28 لأَنَّ نَارًا خَرَجَتْ مِنْ حَشْبُونَ، لَهِيبًا مِنْ قَرْيَةِ سِيحُونَ. أَكَلَتْ عَارَ مُوآبَ. أَهْلَ مُرْتَفَعَاتِ أَرْنُونَ. 29 وَيْلٌ لَكَ يَا مُوآبُ. هَلَكْتِ يَا أُمَّةَ كَمُوشَ. قَدْ صَيَّرَ بَنِيهِ هَارِبِينَ وَبَنَاتِهِ فِي السَّبْيِ لِمَلِكِ الأَمُورِيِّينَ سِيحُونَ. 30 لكِنْ قَدْ رَمَيْنَاهُمْ. هَلَكَتْ حَشْبُونُ إِلَى دِيبُونَ. وَأَخْرَبْنَا إِلَى نُوفَحَ الَّتِي إِلَى مِيدَبَا». 31 فَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي أَرْضِ الأَمُورِيِّينَ. 32 وَأَرْسَلَ مُوسَى لِيَتَجَسَّسَ يَعْزِيرَ، فَأَخَذُوا قُرَاهَا وَطَرَدُوا الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ هُنَاكَ. 33 ثُمَّ تَحَوَّلُوا وَصَعِدُوا فِي طَرِيقِ بَاشَانَ. فَخَرَجَ عُوجُ مَلِكُ بَاشَانَ لِلِقَائِهِمْ هُوَ وَجَمِيعُ قَوْمِهِ إِلَى الْحَرْبِ فِي إِدْرَعِي. 34 فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «لاَ تَخَفْ مِنْهُ لأَنِّي قَدْ دَفَعْتُهُ إِلَى يَدِكَ مَعَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَرْضِهِ، فَتَفْعَلُ بِهِ كَمَا فَعَلْتَ بِسِيحُونَ مَلِكِ الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنِ فِي حَشْبُونَ». 35 فَضَرَبُوهُ وَبَنِيهِ وَجَمِيعَ قَوْمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَارِدٌ، وَمَلَكُوا أَرْضَهُ (العدد 21) وهنا نلاحظ أن العبرانيين قد حاربوا الأموريين واحتلوا اراضيهم من يبوق (نهر الزرقاء) إلى بني عمون (عمان) وتشمل حشبون (حسبان) عاصمة الأموريين ونوفح وهي منطقة نجهلها قد تكون بين حسبان ومادبا، ثم اتجهوا شمالا نحو درعا (طريق باشان) وهزم إسرائيل عوج ملك باشان وقتلوه في هذا المكان (عدد 21: 33-35؛ تثنية 1: 4؛ 3: 1، 10) ويعتقد أن يعزير المذكورة سابقًا بأنها حيث مقام حزير حاليًا في وادي شعيب والذي يقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة السلط بالقرب من عين حزير، وبناء المقام حديث ويعتقد أن هذا المقام نسب إلى (أشير) ثم حُرِف إلى حزير، وأشير هو اخ يوسف عليه السلام. والمقام عبارة عن جامع صغير فيه قبرٌ يُنسب للنبي عشير أو "أشير"، أحد أخوة النبي يوسف بن يعقوب وسنأتي على ذكر هذا المقام لاحقًا.

"أَنْتَ مَارٌّ الْيَوْمَ بِتُخْمِ مُوآبَ، بِعَارَ. فَمَتَى قَرُبْتَ إِلَى تُجَاهِ بَنِي عَمُّونَ، لاَ تُعَادِهِمْ وَلاَ تَهْجِمُوا عَلَيْهِمْ، لأَنِّي لاَ أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ مِيرَاثًا، لأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أَعْطَيْتُهَا مِيرَاثًا." (تث 2: 18-19). ثم عاد الكتاب المقدس وذكر: *"وَأَعْطَى مُوسَى لِسِبْطِ جَادَ، بَنِي جَادَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ: فَكَانَ تُخُمُهُمْ يَعْزِيرَ وَكُلَّ مُدُنِ جِلْعَادَ وَنِصْفَ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ إِلَى عَرُوعِيرَ الَّتِي هِيَ أَمَامَ رَبَّةَ،"* (يش 13: 24-25). فماذا حدث؟ تسلسل الأحداث كان كالآتي: أوصى الرب موسى النبي قائلًا: *"أَنْتَ مَارٌّ الْيَوْمَ بِتُخْمِ مُوآبَ، بِعَارَ. فَمَتَى قَرُبْتَ إِلَى تُجَاهِ بَنِي عَمُّونَ، لاَ تُعَادِهِمْ وَلاَ تَهْجِمُوا عَلَيْهِمْ، لأَنِّي لاَ أُعْطِيكَ مِنْ أَرْضِ بَنِي عَمُّونَ مِيرَاثًا، لأَنِّي لِبَنِي لُوطٍ قَدْ أَعْطَيْتُهَا مِيرَاثًا."* (تث 2: 18-19) والتزم موسى النبي بهذه الوصية. لكن حارب الأموريون مملكة عمون، واستولوا على جزء كبير من أراضيهم (قض 11: 23) طلب موسى النبي من سيحون ملك الأموريين السماح لهم بالعبور من خلال أرضه، ولكن سيحون رفض طلب موسى، بل خرج لمحاربة إسرائيل، واحتدمت الحرب، وانتصر إسرائيل على الأموريين، فأخذ موسى نصف أرض عمون من يد الأموريين، وأعطاها لسبط جاد. وفي عصر القضاة طالب ملك بني عمون إسرائيل بإرجاع الأرض التي استولى عليها منذ موسى النبي قائلًا *"إسرائيل قد أخذ أرضي عند صعوده من مصر من أرنون إلى اليبوق وإلى الأردن. فالآن رُدَّها بسلام"* (قض 11: 13) فرد عليه يفتاح الجلعادي قائلًا *"لم يأخذ إسرائيل أرض موآب ولا أرض بني عمون. لأنه عند صعود إسرائيل من مصر سار في القفر والآن الرب إله إسرائيل قد طرد الأموريين من أمام شعبه إسرائيل. أفأنت تمتلكه..؟ حين أقام إسرائيل في حشبون وقراها وعروعير وقراها وكل المدن التي على جانب أرنون ثلاث مئة سنة فلماذا لم تستردها في تلك المدة"* (قض 11: 15 - 26) بالرجوع إلى (عد 21: 24 - 26، وقض 11: 12 - 28) ندرك أن الأموريين حاربوا الموآبيين والعمونيين، قبل مجيء بني إسرائيل، واستولوا على مساحات واسعة من أراضيهم بين نهري أرنون ويبوق وحينما طلب موسى من سيحون ملك الأموريين السماح لبني إسرائيل بالمرور في هذه المنطقة، خرج سيحون لمحاربتهم بجيش قوي، فكان مصيره

الإبادة، فأخذت بني إسرائيل تلك الأراضي، دون صدام مع العمونيين، غير أن المنطقة ظلت تحمل اسم تخم بني عمون مدة طويلة من الزمن.

5- موت موسى النبي وجبل نيبو: يقع جبل نيبو على ارتفاع يزيد على ألف ومائة متر عن سطح البحر، وهو من أعلى قمم محافظة مادبا، وعلى حافة حفرة الانهدام تماماً، ومن الجبل يمكن رؤية نهر الأردن، الأغوار ويمكن مشاهدة ما وراء البحر الميت من هذا الجبل. إلا أن التلوث البيئي حاليًا يشكل حاجز لرؤية البعيد خلف البحر الميت كأريحا. ويقع الجبل في الإتجاه الغربي من (وادي العفريت)، الذي يمتد جنوباً إلى أودية (الجديدة والكنيسة)، ويحده شمالاً (وادي أبو النمّل)، ممتداً إلى منطقة (عيون موسى)، منحدراً غرباً باتجاه (وادي الأردن). ويقع بالقرب منه خربة المخيط والتي تبعد حوالي 3.5 كم عن جبل نيبو. عثر في الخربة على العديد من الكنائس البيزنطية منها كنيسة القديس لوط، وكنيسة القديس بروكوبيوس، وكنيسة القديس جاورجيوس، ودير الكنيسة الذي يقع على مسافة قصيرة في واد أسفل التل. تضم المخيط عدد من الآثار تعود لمراحل تاريخية مختلفة، من العصر النحاسي إلى العصر العثماني.

أما جبل نيبو فيعتقد أنه جبل مخصص للإله "نبا" وهو إله التجارة عند البابليين. وتذكر مسلة ملك مؤاب «ميشع» مدينة نبو والحروب التي دارت على ذلك الجبل، ومنذ ذلك الوقت هُجرت المدينة، وفي القرن الرابع الميلادي عندما وصلتها جماعة مسيحية على ما يعتقد وبنت فيها كنيسة إيوانية[22] على النمط البيزنطي وعادت المدينة وازدهرت في القرن السادس الميلادي، ثم يعتقد أنها هُجِرت بعد الزلزال الكبير.

<u>جبل نيبو إسلاميًا:</u> عن أبي هريرة قال: "أُرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال:

[22] إيوانية الشكل أي على شكل قاعة أو مساحة مستطيلة، عادة ما تكون مقببة، تحمل قبتها مجموعة من الأعمدة، وتكون أقرب للبازليكا.

فالآن، قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر" رواه البخارى ومسلم وقال الرسول:- (مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره) رواه مسلم. والكثيب قد يكون جبل كما ورد في القرآن الكريم (وكانت الجبال كثيباً مهيلا) ففى الحديثيين النبويين إشارة إلي أن الكثيب الأحمر قريب من القدس (الأرض المقدسة) وبما أنها كانت محرمه على بني إسرائيل دخولها أربعين سنة فإن موسى عليه السلام رأها من هناك من فوق هذا الكثيب. "فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ" المائدة: 26.

جبل نيبو مسيحيًا: في التوراة:- *1 وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوآبَ إِلَى جَبَلِ نَبُو، إِلَى رَأْسِ الْفِسْجَةِ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الأَرْضِ مِنْ جِلْعَادَ إِلَى دَانَ، 2 وَجَمِيعَ نَفْتَالِي وَأَرْضَ أَفْرَايِمَ وَمَنَسَّى، وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُوذَا إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ، 3 وَالْجَنُوبَ وَالدَّائِرَةَ بُقْعَةَ أَرِيحَا مَدِينَةِ النَّخْلِ، إِلَى صُوغَرَ. 4 وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ، وَلكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لاَ تَعْبُرُ.» 5 فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. 6 وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. (تثنية الإشتراع, الفصل ٣٤). 48 وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلًا: 49 «اِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هذَا، جَبَلِ نَبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، 50 وَمُتْ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِهِ. 51 لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. 52 فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا، وَلكِنَّكَ لاَ تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ». (التثنية 32: 49) (التثنية 31-34, يشوع 1: 1-9).

خارج الكنيسة نُصب مجسم لحية نحاسية على عصا تشبه الصليب تطل على الوادي المطل على الأغوار والبحر الميت وترمز للحية النحاسية التي رفعها موسى في الصحراء، *"أتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك، فصلِّ إلى الرب ليرفع عنا الحيات، فصلى موسى لأجل الشعب. فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا. فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت الحية إنسانًا ونظر إلى حية النحاس يحيا"* (عدد21:7-9) وترمز هذه الحية النحاسية لحية موسى كما أسلفنا والتي ترمز بحد ذاتها إلى الصليب، فعندما تنبأ السيد المسيح بصلبه، شرح معناه وأهميته الروحية بمقارنته برفع الحية النحاسية. التي متى نظر إليها الشعب الذي لدغته حية يحيا. قال السيد المسيح: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3:14 – 15).

"جبل نيبو" نال شهرة عالمية وسعة لوجود مقام النبي موسى، وزاره عدد من بابوات روما وكبار الأساقفة في العالم، وهو معترف فيه كموقع حج مسيحي ما أعطى الجبل الذي يعد معلماً سياحياً ودينياً هاماً في محافظة مادبا، أهمية كبيرة جدًا، إضافة إلى اعتماده من قبل الفاتيكان ضمن المواقع الدينية الخمسة التي تم اعتمادها للحج المسيحي في الألفية الثانية.

قصة مكان "مقام حزير"

أشير واحد من إخوة يوسف، وقد يطلق عليه أيضًا (حزير) أو (عزير) أو (عشير). أما أخوة يوسف أولاد النبي يعقوب (إسرائيل) ويدعون بنو إسرائيل فهم: النبي يوسف وهو شقيق بنيامين وأمهما: راحيل بنت لابان وهي ابنة خال يعقوب. روبين وهو أكبر إخوته ويهوذا ولاوي وشمعون وزبولون وياساكر وبنتًا واحدة اسمها دينا وأمهم: ليئة بنت لابان وهي أخت راحيل وابنة خال يعقوب. دان ونفتالي وأمهما: بلهة. جاد (جادور) وعشير وأمهما: زلفة.

أما في الإسلام فقد ذكر أسماء إخوة يوسف عند أهل التفسير، ومنهم الإمام القرطبي فقال: وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وزيالون، ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي بنت خال يعقوب وولد له من سريتين أربعة نفر: دان، ونفتالي، وجاد، وأشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً . والراجح أن حزير هو نبي الله عُزَير المذكور في القرآن الكريم. أما إخوة سيدنا يوسف عليه السلام فهم كما قال ابن جرير الطبري في تفسيره (112/3): [حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: نكح يَعقوب بن إسحاق -وهو إسرائيل- ابنة خاله "ليا" ابنة "ليان بن توبيل بن إلياس"، فولدت له "روبيل بن يعقوب"، وكان أكبر ولده، و"شمعون بن يعقوب"، و"لاوي بن يعقوب" و"يهوذا بن يعقوب" و"ريالون بن يعقوب"، و"يشجر بن يعقوب"، و"دينة بنت يعقوب"، ثم توفيت"ليا بنت ليان". فخلف يعقوب على أختها "راحيل بنت ليان بن توبيل بن إلياس" فولدت له "يوسف بن يعقوب" و"بنيامين" -وهو بالعربية أسد- وولد له من سُرِّيتين له: اسم إحداهما "زلفة"، واسم الأخرى"بلهية"، أربعة نفر: "دان بن يعقوب"، و"نَفتالي بن يعقوب" و"جَاد بن يعقوب"، و"إشرب بن يعقوب" فكان بنو يعقوب اثني عشرَ رجلاً نشر الله منهم اثنَى عشر سبطًا، لا يُحصى عددَهم ولا يعلم أنسابَهم إلا الله، يقول الله تعالى: *{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا}*. سورة الأعراف: 160. ولم نجد في أسماء الأنبياء من اسمه (حزير) أو (عشير) فترجح أنه عزير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم: *{وَقَالَتْ الْيَهُودُ*

عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} التوبة : 30 . قال أبو الفداء الأيوبي في المختصر في أخبار البشر (17/1) : ولما عادت عمارة بيت المقدس، تراجعت إليه بنو إسرائيل من العراق وغيره، وكانت عمارته في أول سنة سبعين لابتداء ولاية بخت نصر (نبوخذ نصر). ولما تراجعت بنو إسرائيل إلى القدس كان من جملتهم عزير وكان بالعراق، وقدم معه من بني إسرائيل ما يزيد على ألفين من العلماء وغيرهم، وترتب مع عزير في القدس مائة وعشرون شيخاً من علماء بني إسرائيل. وكانت التوراة قد عدمت منهم إذ ذاك، فمثلها الله تعالى في صدر العُزَير، ووضعها لبني إسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها، فأحبوه حباً شديداً، وأصلح العزير أمرهم، وأقام بينهم على ذلك. من كتب اليهود: إن العزير لبث مع بني إسرائيل في القدس يدبر أمرهم، حتى توفي بعد مضي أربعين سنة لعمارة بيت المقدس. أقول: فيكون وفاة العزير سنة ثلاثين ومائة لابتداء ولاية بخت نصر، واسم العزير بالعبرانية عزرا وهو من ولد فتحاس بن العزر بن هارون بن عمران. وهو كما هو مشهور المذكور في القرآن الكريم : *{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}* البقرة : 259 . وقال ابن كثير في تفسيره (687/1) أن كون هذا الرجل المار هو سيدنا عزير عليه السلام هو المشهور. روى ابن أبي حاتم في تفسيره (274/2). عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،"يَعْنِي قَوْلَهُ: "أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ"، قال: خَرَجَ عُزَيْرٌ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ مَدِينَتِهِ وَهُوَ شَابٌّ، فَمَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ خَرِبَةٍ، فَقَالَ: " أَنَّى يَحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا " "وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ، وَالسُّدِّيِّ، وَابْنِ بُرَيْدَةَ، وَقَتَادَةَ: أَنَّهُ كَانَ عُزَيْرًا.

قصة مكان "مقام النبي يوشع بن نون"

يَشُوعُ بْنُ نُونٍ أو يُوشَعُ بْنُ نُونٍ (عد 13: 8) من سبط أفرايم، ولد في مصر، وهو نبي من أنبياء العهد القديم أو أنبياء بني إسرائيل، وهو شخصية قيادية في العهد القديم والمذكور في سفر يشوع. عاش بين القرنين الثالث عشر قبل الميلاد والثاني عشر قبل الميلاد. وهو ابن نون بن إفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وتولى قيادة ودخول بني إسرائيل بعد موت موسى إلى أرض الميعاد. ويشوع اسم عبري معناه "يهوه خلاص". واسمه أيضًا يهوشوع*"وَنُونُ ابْنُهُ، وَيَهُوشُوعُ ابْنُهُ"* (1 أخ 7: 27) ثم دعاه موسى يشوع*"وَدَعَا مُوسَى هُوشَعَ بْنَ نُونَ «يَشُوعَ»* (عد 13: 16). أما قصته فيرويها الكتاب المقدس:

أنه أصبح خليفة موسى، وكان أولًا خادمًا لموسى (خر 24: 13) عينه موسى لقيادة بني إسرائيل (خر 17: 9) ثم أقامه موسى أمام أليعازار الكاهن وكل الشعب وعينه خليفة له (عد 27: 18- 23؛ تث 1: 38) ودعا موسى يشوع قبيل وفاته وسلمه العمل الذي كان عليه أن يقوم به وفقًا لإرادة الله (تث 31: 14، 23) وبعد موت موسى مباشرة أخذ يشوع في الاستعداد السريع لعبور الأردن. ومنح الشعب ثلاثة أيام لإعداد الزاد (يش 1: 10، 11) ونبه سبطي رؤبين وجاد ونصف سبط منسى بضرورة إمداد أخوتهم وتقديم المساعدة المسلحة لهم في أثناء المعركة (يش 1: 12-18) وأرسل جاسوسين إلى أريحا ليستقصوا الأمور العسكرية فيها (يش 2: 1) ثم تحرك بمعسكره نحو النهر وأعطى المحاربين تعليمات دقيقة للزحف (يش 3: 1- 6) وقد أظهر مهارته وحنكته العسكرية في الخطة الاستراتيجية التي اتبعها في احتلال أرض كنعان، وبعدما احتل أريحا، المركز الأمامي للكنعانيين، زحف غربًا عبر الجبال واحتل عاي التي كانت قائمة على رابية مقابل الجلجال وبعد ذلك أتم وصية موسى فأقام مذبحًا في عيبال (يش 8: 30- 35؛ تث 27) وفي غضون ذلك أتاه وفد من جبعون (قرية الجيب حاليًا قرب القدس) يطلبون منه عقد صلح مع بلدتهم، ففعل ذلك دون وحي إلهي، وهذا العمل جلب له المتاعب لاحقًا. ثم قام بغزوتين لاحتلال أرض كنعان كلها. عقد خمسة ملوك حلف عسكري وهم: ملك أورشليم، وحبرون، ولخيش (قرية

حاليًا جنوب غرب القدس)، وعجلون (قرية شمال غرب القدس)، ويرموث (قرية شمال غرب القدس) ضد أهل جبعون، فعقدوا صلحًا مع يشوع، قرر مصير معركة الجنوب، لأنه حمل يشوع على نجدة الذين عقد معهم صلحًا، والإجهاز على الملوك الخمسة المتحالفين. ثم زحف نحو الغرب واحتل مقيدة على الساحل وأقام فيها محلة مؤقتة. ثم احتل لبنة، ولخيش، وعجلون، وحبرون. ثم عاد من حبرون وضرب دبير (على الأرجح أن مكانها الآن هو تل بيت مرسيم الذي يبعد حوالي 13 ميلًا غربًا، إلى الجنوب الغربي من حبرون، وعلى بُعْد ثلاثة أميال شمالًا إلى الشمال الغربي من شامير) في الجبال. وبعدما احتل القطاع بين جبعون وغزة وقادش برنيع رجع إلى الجلجال.

وقد قاد يشوع معارك الغزو في شمالي كنعان وأخذ حاصور وغيرها من المدن (يشوع 11: 1- 15) وقام بتقسيم الأرض في كنعان بين الأسباط (يش 13-22)، وطلب أن يأخذ لنفسه بلدة فأعطيت له (يش 19: 5). وفي آخر حياته دعا كل بني إسرائيل وألقى عليهم خطابه الوداعي (يش 23؛ 24) وكان إيمانه بالله مفتاح نجاحه. وكان كل قصده أن يرضي الرب، ويمهد سبل الراحة لشعبه. ولكن بني إسرائيل كانوا متقلبين وسريعي الانفعال. وكان يشوع يعرف تقلبهم وضعفهم. وما أجمل القول الذي اختتم به حياته: *"أما أنا وبيتي فنعبد الرب"* (يش 24: 15).

يوشع بن نون في الإسلام: ذكره في القرآن في قصة الخضر لكن غير مصرح باسمه: *{وإذ قال موسى لفتاه}* الكهف: 60 . *{فلما جاوزا قال لفتاه}* الكهف: 62 وذكر في "الصحيح" عن أبي بن كعب، عن النبي، أنه يوشع بن نون.

وقد ذكر المؤرخون أن الله فتح على يديه بيت المقدس، وقد خصه الله بكرامة لم ينلها غيره، وهي حبس الشمس له، روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ولما استقرت يد بني إسرائيل على القدس استمروا فيه وبين أظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التوراة حتى قبضه الله إليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، فكان مدة حياته بعد موسى سبعا وعشرين سنة.

أما المقام: فهو عبارة عن مسجد حديث فيه قبرٌ يُنسب للنبي يوشع بن نون، ويقع الضريح على بعد 25 كم إلى الغرب من مدينة عمان على أطراف مدينة السلط في الأردن، في موقع يُطلّ على الأغوار وجبال الضفة الغربية ومدينة القدس. ويعود تاريخ بناء الضريح إلى عهد الدولة العثمانية، والضريح من الداخل طوله أكثر من 6 أمتار مغطى بقماش أخضر. وقد تمّ تجديده وتوسيعه في عهد الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حيث أصبح المبنى الجديد يضم مصلى للرجال وآخر للنساء وغرفة المقام وغيرها.

لا يوجد أماكن غير هذا المقام هذا عن يشوع أو هوشع فيما يتعلق بالأردن، بالتالي نكتفي بهذه الروايات عن يوشع النبي.

قصة مكان "الملك شاول وعمون"

الملك شاول هو أول ملوك إسرائيل الموحدة واسمه شاول بن قيس، من سبط بنيامين، وجاء للحكم بطريقة غريبة، فيقال أن الأمم المحيطة بإسرائيل تنتهز الفرصة للإيقاع باسرائيل (1 صم 8: 1، 3، 20؛ 12: 12) وجاء شيوخ إسرائيل إلى صموئيل طالبين أن يمسح لهم ملكًا كسائر الأمم المجاورة (1 صم 8: 4، 5، 19، 20) فأخذ صموئيل قنينة دهن، وصبها على رأس شاول فمسحه ملكًا، ولقد اختار الله شاول لأن مظهره سيحوز رضى الشعب وثقتهم، ولأنه من سبط بنيامين، وبنامين يتوسط أفرايم ويهوذا وبذلك يستجيب لرغبة سكان الشمال والجنوب في فلسطين. وفي بدء أيامه انتصر على ناحاش ملك العمونيين في حصار يابيش جلعاد، وبعد ذلك عيد الشعب في الجلجال، عيد النصرة (1 صم 11: 1 - 12: 25).

الملك ناحاش ومملكة عمون ويابيش جلعاد

ناحاش ملك عموني ومعناه "حنش" أو "الحَيَّة السوداء" ولعل ذلك يشير إلى سماره، نزل هذا الملك المعروف بقوته ووحشيته على يابيش جلعاد واستبعد أهلها واشترط أن يقوّر العين اليُمْنَى من كل فرد من السكان إن أرادوا أن يقطع لهم عهدًا بحمايتهم. فاستمهلوه مدة سبعة أيام، وفي تلك المدة أرسلوا الخبر إلى جميع أخوانهم من بني إسرائيل. فجاء الملك شاول لنجدتهم، ومعه ثلاثمائة وثلاثين ألف رجل، وهاجم العمونيين وطردهم من المنطقة. وإثر ذلك نُصِب شاول ملكًا على بني إسرائيل (1 صم 11) وتصالَح ناحاش فيما بعد مع داود. ولما مات أرسل داود وفدًا يعزي ابنه حانون (2 صم 10: 1-2).

وتقع مدينة يابيش جلعاد على ما يعتقد على جبال جلعاد شرقي نهر الأردن، شمالي الأردن إلى الجنوب من طبقة فحل (بيلا) عند النهاية الشرقية لوادي اليابس (اليبيس). على بعد 4 كم إلى الشرق من نهر الأردن، وقد وُرِدَ ذِكْر يابيش جلعاد في عدة مواضع في العهد القديم فعندما أمتنع أهلها من الصعود إلى مجمع بني إسرائيل في المصفاة (قض 21: 8) بعد مشكلة سرية اللاوي، غار المؤمنون الساخطون المحتدون على المدينة ودمروها، ونجت 400 فتاة عذراء، أُعْطِيَت نساء لسبط بنيامين (عد 14) كما ذكرت عندما صعد إليها ناحاش ملك عمون وتوعد رجالها بقلع العين اليمنى لكل رجل كما أسلفنا سابقًا، فاستغاثوا بشاول (1 صم 11) ولم ينس أهل يابيش جلعاد معروفه، لأنه أنقذهم، ولذلك عندما بلغ أهل يابيش جلعاد خبر مصرع شاول وبنيه في المعركة التي نشبت بين العبرانيين والفلسطينيين على جبل جلبوع، أسرعوا وعبروا الأردن وأنزلوا جثث شاول وبنيه عن سور بيت شان، وأتوا بها إلى يابيش (1 صم 31: 12) وبقيت مدفونة هناك إلى أن نقلت إلى قبر قيس أبي شاول في أرض بنيامين (2 صم 21: 12-14؛ 1 أخبار 10: 11 إلخ.) كما ذكرت عندما بلغ داود، الذي خلف شاول في الملك، خبر بسالة أهل يابش جلعاد، وبارك داود صنيعهم هذا وكافأهم (2 صم 2: 5- 7).

قصة مكان "الملك داوود وعمون"

رفع الله المُلك عن شاول (1 صم 15: 1-35)، وأصبح داود ملكًا، ويخبر الكتاب المقدس أن داود وناحاش تصالحا فساد السلام بينهما، ثم يقول الكتاب المقدس في صموئيل الثاني الاصحاح 10: *ثُمَّ مَاتَ مَلِكُ بَنِي عَمُّونَ، وَاعْتَلَى الْعَرْشَ ابْنُهُ حَانُونُ. 2 فَقَالَ دَاوُدُ فِي نَفْسِهِ: «لأَصْنَعَنَّ خَيْراً لِحَانُونَ بْنِ نَاحَاشَ كَمَا صَنَعَ أَبُوهُ مَعِي»، فَبَعَثَ دَاوُدُ وَفْداً لِيُعَزِّيَهُ فِي وَفَاةِ أَبِيهِ. وَعِنْدَمَا بَلَغَ وَفْدُ دَاوُدَ أَرْضَ بَنِي عَمُّونَ 3 قَالَ رُؤَسَاءُ بَنِي عَمُّونَ لِسَيِّدِهِمْ: «أَتَظُنُّ أَنَّ دَاوُدَ يَسْتَهْدِفُ إِكْرَامَ أَبِيكَ فِي عَيْنَيْكَ بِإِرْسَالِهِ هَذَا الْوَفْدِ لِلتَّعْزِيَةِ؟ إِنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ هَذَا الْوَفْدَ إِلاَّ لاِسْتِطْلاَعِ أَحْوَالِ الْمَدِينَةِ وَالتَّجَسُّسِ عَلَيْهَا وَقَلْبِهَا». 4 فَقَبَضَ حَانُونُ عَلَى أَعْضَاءِ وَفْدِ دَاوُدَ وَحَلَقَ أَنْصَافَ لِحَاهُمْ وَقَصَّ ثِيَابَهُمْ إِلَى مُنْتَصَفِ ظُهُورِهِمْ، ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ. 5 وَلَمَّا عَلِمَ دَاوُدُ بِالأَمْرِ أَرْسَلَ مَنِ اسْتَقْبَلَهُمْ، لأَنَّ أَعْضَاءَ الْوَفْدِ اعْتَرَاهُمْ خَجَلٌ شَدِيدٌ. وَأَمَرَ هُمُ الْمَلِكُ أَنْ يَمْكُثُوا فِي أَرِيحَا رَيْثَمَا تَنْبُتُ لِحَاهُمْ ثُمَّ يَرْجِعُونَ. 6 وَعِنْدَمَا تَبَيَّنَ الْعَمُّونِيُّونَ أَنَّ دَاوُدَ قَدْ أَضْمَرَ لَهُمُ الْبَغْضَاءَ، اسْتَأْجَرُوا مِنْ أَرَامِ بَيْتِ رَحُوبَ وَأَرَامِ صُوبَا عِشْرِينَ أَلْفَ رَاجِلٍ، وَمِنْ مَلِكِ مَعْكَةَ أَلْفَ رَجُلٍ، وَمِنْ رِجَالِ طُوبَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَاجِلٍ. 7 فَحِينَ بَلَغَ الْخَبَرُ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوآبَ وَسَائِرَ قُوَّاتِهِ الأَبْطَالِ، 8 فَخَرَجَ بَنُو عَمُّونَ وَاصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، أَمَّا أَرَامِيُّو صُوبَا وَرَحُوبَ وَرِجَالُ طُوبَ وَمَعْكَةَ فَقَدِ احْتَشَدُوا فِي الْحُقُولِ. 9 وَعِنْدَمَا أَدْرَكَ يُوآبُ أَنَّهُ مُحَاصَرٌ بِجَبْهَتَيْ قِتَالٍ مِنْ أَمَامٍ وَمِنْ خَلْفٍ، انْتَخَبَ مِنْ صَفْوَةِ جَيْشِهِ رِجَالاً صَفَّهُمْ لِلِقَاءِ الأَرَامِيِّينَ، 10 وَعَهِدَ بِبَقِيَّةِ الْجَيْشِ إِلَى أَخِيهِ أَبِيشَايَ، فَصَفَّهُمْ هَذَا لِمُوَاجَهَةِ بَنِي عَمُّونَ. 11 وَقَالَ يُوآبُ: «إِنْ تَغَلَّبَ عَلَيَّ الأَرَامِيُّونَ تُسْرِعْ لِنَجْدَتِي، وَإِنْ قَوِيَ عَلَيْكَ الْعَمُّونِيُّونَ أَخِفُّ لإِغَاثَتِكَ. 12 لِتَتَشَجَّعْ وَلْتَتَقَوَّ مِنْ أَجْلِ شَعْبِنَا وَمِنْ أَجْلِ مُدُنِ إِلَهِنَا، وَالرَّبُّ يُجْرِي مَا يَشَاءُ.» 13 وَتَقَدَّمَ يُوآبُ بِقُوَّاتِهِ لِمُحَارَبَةِ الأَرَامِيِّينَ فَلاذُوا بِالْفِرَارِ. 14 وَعِنْدَمَا شَاهَدَ الْعَمُّونِيُّونَ الأَرَامِيِّينَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ، هَرَبُوا هُمْ أَيْضاً مِنْ أَمَامَ أَبِيشَايَ وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ، فَرَجَعَ يُوآبُ عَنْ بَنِي عَمُّونَ وَعَادَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. 15 وَبَعْدَ أَنْ رَأَى الأَرَامِيُّونَ أَنَّهُمْ قَدِ انْهَزَمُوا أَمَامَ جَيْشِ إِسْرَائِيلَ اجْتَمَعُوا مَعاً. 16 فَأَرْسَلَ هَدَدُ عَزَرَ وَاسْتَدْعَى أَرَامِيِّي نَهْرِ الْفُرَاتِ، فَتَجَمَّعُوا فِي حِيلاَمَ تَحْتَ*

قِيَادَةِ شُوبَكَ رَئِيسِ جَيْشِ هَدَدْعَزَرَ. 17 فَلَمَّا عَلِمَ دَاوُدُ، حَشَدَ جُيُوشَهُ وَاجْتَازَ نَهْرَ الأُرْدُنِّ حَتَّى قَدِمَ إِلَى حِيلاَمَ فَالْتَقَى الْجَيْشَانِ فِي حَرْبٍ ضَرُوسٍ. 18 وَمَا لَبِثَ الأَرَامِيُّونَ أَنِ انْدَحَرُوا أَمَامَ الإِسْرَائِيلِيِّينَ، فَقَتَلَتْ قُوَّاتُ دَاوُدَ رِجَالَ سَبْعِ مِئَةِ مَرْكَبَةٍ، وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ فَارِسٍ. وَأُصِيبَ شُوبَكُ رَئِيسُ الْجَيْشِ وَمَاتَ هُنَاكَ. 19 وَحِينَ أَدْرَكَ جَمِيعُ حُلَفَاءِ هَدَدْعَزَرَ أَنَّهُمُ انْدَحَرُوا أَمَامَ الإِسْرَائِيلِيِّينَ، عَقَدُوا صُلْحاً مَعَهُمْ وَأَصْبَحُوا تَابِعِينَ لَهُمْ وَلَمْ يَجْرُؤُوا عَلَى نَجْدَةِ بَنِي عَمُّونَ بَعْدَ ذَلِكَ.

قصة مكان "ربة عمون"

يقول الكتاب المقدس عن عمان في صموئيل الثاني : *11 وَفِي رَبِيعِ الْعَامِ التَّالِي، فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي اعْتَادَ فِيهِ الْمُلُوكُ الْخُرُوجَ لِلْحَرْبِ، أَرْسَلَ دَاوُدُ قَائِدَ جَيْشِهِ يُوآبَ عَلَى رَأْسِ قُوَّاتِهِ حَيْثُ هَاجَمُوا بَنِي عَمُّونَ وَقَهَرُوهُمْ، وَحَاصَرُوا مَدِينَةَ رِبَّةَ، أَمَّا دَاوُدُ فَمَكَثَ فِي أُورُشَلِيمَ.*

ثم يكمل: 6 فَوَجَّهَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ قَائِلاً: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَبَعَثَ بِهِ يُوآبُ إِلَى دَاوُدَ. 7 وَحِينَ مَثَلَ لَدَى دَاوُدَ اسْتَفْسَرَ مِنْهُ عَنْ سَلامَةِ يُوآبَ وَالْجَيْشِ وَعَنْ أَنْبَاءِ الْحَرْبِ. 8 ثُمَّ قَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «امْضِ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَأَرْسَلَ لَهُ هَدِيَّةً إِلَى بَيْتِهِ. 9 غَيْرَ أَنَّ أُورِيَّا لَمْ يَتَوَجَّهْ إِلَى بَيْتِهِ، بَلْ نَامَ مَعَ رِجَالِ الْمَلِكِ عِنْدَ بَابِ الْقَصْرِ. 10 فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَتَوَجَّهْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَسَأَلَهُ دَاوُدُ: «أَلَمْ تَرْجِعْ مِنْ سَفَرٍ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَمْضِ إِلَى بَيْتِكَ؟» 11 فَأَجَابَ: «التَّابُوتُ وَجَيْشُ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا مُعَسْكِرُونَ فِي الْخِيَامِ، وَكَذَلِكَ سَيِّدِي يُوآبُ، وَبَقِيَّةُ قُوَّادِ الْمَلِكِ مُخَيِّمُونَ فِي الْعَرَاءِ، فَهَلْ آتِي أَنَا إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأُضَاجِعَ زَوْجَتِي؟ أُقْسِمُ بِحَيَاتِكَ، لَنْ أَفْعَلَ هَذَا الأَمْرَ». 12 فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «امْكُثْ هُنَا الْيَوْمَ وَغَداً أُطْلِقُكَ». فَمَكَثَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي. 13 وَلَبَّى دَعْوَةَ الْمَلِكِ، فَأَكَلَ فِي حَضْرَتِهِ وَشَرِبَ حَتَّى أَسْكَرَهُ دَاوُدُ. ثُمَّ خَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَرْقُدَ فِي مَضْجَعِهِ إِلَى جِوَارِ رِجَالِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَتَوَجَّهْ إِلَى بَيْتِهِ أَيْضاً. 14 وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ رِسَالَةً إِلَى يُوآبَ، بَعَثَ بِهَا مَعَ أُورِيَّا، 15 جَاءَ فِيهَا: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي الْخُطُوطِ الأُولَى حَيْثُ يَنْشُبُ الْقِتَالُ الشَّرِسُ، ثُمَّ تَرَاجَعُوا مِنْ وَرَائِهِ لِيَلْقَى حَتْفَهُ». 16 فَعَيَّنَ يُوآبُ أُورِيَّا فِي أَثْنَاءِ مُحَاصَرَةِ الْمَدِينَةِ، فِي أَشَدِّ جَبْهَاتِ الْقِتَالِ ضَرَاوَةً، حَيْثُ احْتَشَدَ أَبْطَالُ الأَعْدَاءِ. 17 فَانْدَفَعَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ لِمُحَارَبَةِ يُوآبَ فَمَاتَ بَعْضُ رِجَالِ دَاوُدَ وَمِنْهُمْ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ. 18 فَبَعَثَ يُوآبُ رَسُولاً لِيُطْلِعَ دَاوُدَ عَلَى أَنْبَاءِ الْحَرْبِ، 19 وَأَوْصَاهُ قَائِلاً: «إِنْ رَأَيْتَ أَنَّ الْمَلِكَ بَعْدَ إِبْلاغِهِ أَنْبَاءَ الْحَرْبِ 20 قَدْ ثَارَ غَضَبُهُ وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا اقْتَرَبْتُمْ مِنْ سُورِ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ بِالسِّهَامِ مِنْ فَوْقِ السُّورِ؟ 21 مَنْ صَرَعَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِحَجَرٍ رَحىً مِنْ عَلَى السُّورِ

فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذَا اقْتَرَبْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ لَهُ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضاً.» 22 فَانْطَلَقَ الرَّسُولُ إِلَى دَاوُدَ وَأَطْلَعَهُ عَلَى آخِرِ أَنْبَاءِ الْحَرَبِ الَّتِي كَلَّفَهُ بِهَا يُوآبُ. 23 وَقَالَ: «لَقَدْ قَوِيَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا لِقِتَالِنَا فِي الْعَرَاءِ، وَلَكِنَّنَا انْكَفَأْنَا عَلَيْهِمْ وَطَارَدْنَاهُمْ حَتَّى بَوَابَةِ الْمَدِينَةِ. 24 فَرَمَى الرُّمَاةُ عَلَى عَبِيدِكَ بِالسِّهَامِ، فَقُتِلَ بَعْضُ ضُبَّاطِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ». 25 فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: «هَذَا مَا تُخْبِرُ بِهِ يُوآبَ: لَا يَسُوءَنَّكَ هَذَا الأَمْرُ، فَإِنَّ السَّيْفَ يَلْتَهِمُ هَذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ حِصَارَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَدَمِّرْهَا. قُلْ هَذَا لِتَشْجِيعِ يُوآبَ».

وجاء هذا الوصف البسيط لربة عمون في معرض الحديث عن خطيئة داود بالزنى والقتل العمد والخيانة.

ثم يكمل الكتاب المقدس في صموئيل الثاني الاصحاح 12 *(26 وَهَاجَمَ يُوآبُ رِبَّةَ عَمُّونَ وَاسْتَوْلَى عَلَى عَاصِمَةِ الْمَمْلَكَةِ، 27 ثُمَّ بَعَثَ بِرُسُلٍ إِلَى دَاوُدَ قَائِلاً: «لَقَدْ حَارَبْتُ رِبَّةَ وَاسْتَوْلَيْتُ عَلَى مَصَادِرِ مَائِهَا، 28 فَالآنَ احْشِدْ بَقِيَّةَ الْجَيْشِ وَتَعَالَ هَاجِمِ الْمَدِينَةَ وَافْتَتِحْهَا، لِئَلاَّ أَقْهَرَهَا أَنَا فَيُطْلِقُونَ اسْمِي عَلَيْهَا». 29 فَحَشَدَ دَاوُدُ كُلَّ الْجَيْشِ وَانْطَلَقَ إِلَى رِبَّةَ وَهَاجَمَهَا وَافْتَتَحَهَا، 30 وَأَخَذَ تَاجَ مَلِكِهِمْ عَنْ رَأْسِهِ، وَوَزْنُهُ وَزْنَةٌ (نَحْوَ أَرْبَعَةٍ وَثَلاثِينَ كِيلُو جِرَاماً) مِنَ الذَّهَبِ وَالأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ، وَتَتَوَّجَ بِهِ. كَمَا اسْتَوْلَى عَلَى غَنَائِمَ وَفِيرَةٍ. 31 وَاسْتَعْبَدَ أَهْلَهَا وَفَرَضَ عَلَيْهِمِ الْعَمَلَ بِالْمَعَاوِلِ وَالْمَنَاشِيرِ وَالْفُؤُوسِ وَأَفْرَانِ الطُّوبِ. وَعَامَلَ جَمِيعَ أَهْلِ مُدُنِ الْعَمُّونِيِّينَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ. ثُمَّ عَادَ دَاوُدُ وَسَائِرُ جَيْشِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ).*

وفي سفرٍ آخر يقول الكتاب المقدس في سفر أخبار الأيام الأول الاصحاح عشرون : *1 وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك، اقتاد يوآب قوة الجيش وأخرب أرض بني عمون وأتى وحاصر ربة. وكان داود مقيما في أورشليم. فضرب يوآب ربة وهدمها 2 وأخذ داود تاج ملكهم عن رأسه، فوجد وزنه وزنة من الذهب، وفيه حجر كريم. فكان على رأس داود. وأخرج غنيمة المدينة وكانت كثيرة جدا 3 وأخرج الشعب الذين بها ونشرهم بمناشير ونوارج حديد وفؤوس. وهكذا صنع داود لكل مدن بني عمون. ثم رجع داود وكل الشعب إلى أورشليم.*
وجاء في سفر صموئيل عن نفس الموقف: *"وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ*

تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَّهُمْ فِي أَتُونِ الآجُرِّ، وَهكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مُدُنِ بَنِي عَمُّونَ" (2صم 12: 31).

هل قتل داوود أهل عمون؟

يبدو أن هذا الأمر لم يكن واسعًا، لأن العمونيين استمر تواجدهم في شرق الأردن، وتزوج سليمان الملك من عمونيات وبنى مرتفعة لمولك إله العمونيين (1مل 11: 1، 7) وقام بنو عمون بغزو مملكة يهوذا في عصر الملك يهوياقيم (2مل 24: 2) ولذلك فالأقرب للفهم أن داود فعل هذا مع متمردين أو جنود، أو أنه جعل بني عمون عبيدًا يعملون بالمناشير والنوارج والفؤوس، وهذا ما جاء في أخبار الأيام وصموئيل الثاني: "*وفرض على أهلها وعلى بقية مدن العمونيين العمل بالمناشير ومعاول الحديد والفؤوس*" (1أي 20: 3) "*واستعبد أهلها وفرض عليهم العمل بالمعاول والمناشير والفؤوس وأفران الطوب. وعامل جميع أهل مدن العمونيين بمثل هذه المعاملة*" (2صم 12: 31).

قصة مكان "تل مار الياس"

النبي إيليا هو نبي كبير من أنبياء الله من بني إسرائيل، ورد ذكره في الكتاب المقدس في سفر الملوك الثاني في عهد الملك آخاب أي عاش في القرن التاسع قبل الميلاد، وذكر في العهد الجديد عند تجليه مع سيدنا المسيح ويعتقد مسيحيًا أنه سيأتي قبل المجيء الثاني للسيد المسيح. اسمه في اليونانية «إلياس» ويعتقد أنه هو نفسه إلياس المذكور في القرآن الكريم.

إيليا اسم عبري ومعناه (إلهي يهوه) أو (الرب إلهي). عاش هذا النبي في المملكة الشمالية، وبما أنه يُدعى التشْبِي فيرجّح أنه ولد في (تشبة) ولكنه عاش في جلعاد وهي المنطقة الواقعة بين نهر اليرموك شمالا، ونهر الزرقاء جنوبا ونهر الأردن غرباً، وكان اسمها قبل ذلك "سيكوندا" أثناء وقوعها تحت حكم مملكة عمون *(1 وَقَالَ إِيلِيَّا التِّشْبِيُّ مِنْ مُسْتَوْطَنِي جِلْعَادَ لأَخْآبَ: «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ، إِنَّهُ لاَ يَكُونُ طَلٌّ وَلاَ مَطَرٌ فِي هذِهِ السِّنِينَ إِلاَّ عِنْدَ قَوْلِي.« 2 وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ لَهُ قَائِلاً: 3 »انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَاخْتَبِئْ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ[23] الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الأُرْدُنِّ، 4 فَتَشْرَبَ مِنَ النَّهْرِ. وَقَدْ أَمَرْتُ الْغِرْبَانَ أَنْ تَعُولَكَ هُنَاكَ.« 5 فَانْطَلَقَ وَعَمِلَ حَسَبَ كَلاَمِ الرَّبِّ، وَذَهَبَ فَأَقَامَ عِنْدَ نَهْرِ كَرِيثَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الأُرْدُنِّ. 6 وَكَانَتِ الْغِرْبَانُ تَأْتِي إِلَيْهِ بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ صَبَاحًا، وَبِخُبْزٍ وَلَحْمٍ مَسَاءً، وَكَانَ يَشْرَبُ مِنَ النَّهْرِ. 7 وَكَانَ بَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ النَّهْرَ يَبِسَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَطَرٌ فِي الأَرْضِ)* (1 مل 17: 1) وكان عادة يلبس ثوبًا من الشعر (مسوحًا) ومنطقة من الجلد (*8 فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّهُ رَجُلٌ أَشْعَرُ مُتَنَطِّقٌ بِمِنْطَقَةٍ مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ». فَقَالَ: «هُوَ إِيلِيَّا التِّشْبِيُّ»* (2 مل 1: 8) وبما أن إيزابل ساقت زوجها[24] وشعب بني إسرائيل إلى عبادة البعل فقد تنبأ إيليا بأن الله سيمنع

---

[23] وهو مجرى ماء مقابل الأردن سكن إيليا بقربه، ويظن أنه وادي شرقي الأردن تجري المياه فيه في سنين المطر الوافر، وهو النهر الذي أمر الرب إيليا النبي أن ينطلق إليه ليختبئ من وجه آخاب، بعد أن أعلنه بانقطاع المطر وحلول المجاعة. فذهب إيليا إلى هناك حيث كانت الغربان تعوله، فتأتي إليه بخبز ولحم صباحًا ومساءً، وكان يشرب من النهر إلى أن جف النهر لانقطاع المطر، وعبارة "نهر كريث الذي هو مقابل الأردن" (1مل17:3)، عبارة مبهمة، فهي لا تحدد في أي جهة من الأردن، لكن المؤكد أن هذا النهر أو المجرى غير دائم، والأرجح أنه كان في شرقي الأردن في جلعاد الموطن الأصلي لإيليا.

[24] قرينة الملك آخاب ملك إسرائيل وهي ابنة إيثوبعل الأول ملك صيدون ووالدة أخزيا ويهورام وعثليا من ملكة يهوذا، وحسب الكتاب المقدس نشرت إيزابل عبادة البعل في مملكة إسرائيل الشمالية، كما ذكر الكتاب المقدس إيزابل بقيامها بأعمال شريرة أخرى بعد أن دبرت مكيدة لقتل نابوت وهو صاحب كرم بالقرب من قصر الملك آخاب أراد أن يشتريه آخاب منه بعد أن إتهمته زوراً بالتجديف ضد الله والملك فقام الشيوخ

المطر عن بني إسرائيل، واعتزل النبي إلى نهر كريث وكانت الغربان تعوله وتأتي إليه بالطعام وبعد أن جفّ النهر ذهب إلى صرفة، وبقي في بيت امرأة أرملة، ووفقًا لوعد إيليا لها لم يفرغ من بيتها الدقيق والزيت طوال مدة الجفاف، ولما مات ابن الأرملة صلى إيليا فأعاد الله الحياة إلى الصبي.

وفي السنة الثالثة من الجفاف قابل إيليا عوبديا وكيل آخاب وكان مؤمنًا بالله واتفق معه على مقابلة الملك. وطلب النبي من الملك أن يجمع الشعب إلى جبل الكرمل وأن يحضر معه أنبياء البعل ليرى أيهما يرسل نارًا تلتهم المحرقة، الرب أم البعل. فصلّى أنبياء البعل ولكن لم يكن من مجيب لصلاتهم. ولكن دعا إيليا الرب فاستجاب له ونزلت نار من السماء والتهمت المحرقة. ويشير التقليد إلى أن هذه المعجزة تمت على جبل الكرمل في مكان يدعى حاليًا (المحرقة) فأقرّ الشعب بأن الرب هو الله. وبناء على أمر إيليا قتل أنبياء البعل. عندئذ أعلن إيليا بأن المطر سوف ينزل. ولما توعدت إيزابل بقتل إيليا لأنه قتل أنبياء البعل هرب إلى الجنوب إلى بئر سبع وطلب إلى الله أن يأخذ حياته، ولكن الله أرسل إليه ملاكًا ليشجعه وليعطيه طعامًا وماء. وبقوة هذه الأكلة أمكنه أن يسافر مدة أربعين يومًا إلى جبل حوريب الذي يدعى أيضًا جبل سيناء ويقول التقليد أن المغارة التي على جبل موسى هي المكان الذي أقام فيه إيليا.

وفي نهاية أيامه ذهب إلى الأردن مع أليشع، وضرب إيليا الأردن بردائه، فانشق الماء وسار النبيان على اليابسة نحو شرقي الأردن، ثم جاءت مركبة وفرسان نارية وحملت إيليا إلى السماء وترك رداءه لأليشع (2 مل 2: 1-18). وقد وردت آخر إشارة إلى إيليا في العهد القديم في (ملا 4: 5 و6) والتي فحواها أن الرب سيرسل إيليا النبي قبل يوم الرب العظيم. ويترك بعض اليهود مقعدًا خاليًا على مائدة عيد الفصح لإيليا. أما في العهد الجديد فقد وعد الملاك أن يوحنا المعمدان سيتقدم المسيح برؤيا إيليا وقوته (لو 1: 17) وفي هذا المعنى قال المسيح أن إيليا قد جاء في شخص يوحنا المعمدان (مت 11: 14 و17: 10 - 12) وقد ظن

برجم نابوت وإستولى آخاب على كرم نابوت، ليرسل لها الله النبي إيليا حيث تنبأ بأن الكلاب ستأكل إيزابل في نفس المكان الذي قتل به نابوت، بعد ثورة ياهو ضد آخاب وبينما كانت تتطلع إيزابل من النافذة وبعدما رآها رجاله هناك أمروا برميها من هناك.

بعض الناس خطأً أن المسيح نفسه هو إيليا (مت 16: 14) وفي عظته التي ألقاها في الناصرة أشار يسوع إلى إقامة إيليا في بيت أرملة صرفة (لو 4: 26 و27) وقد ظهر إيليا وموسى مع المسيح عند التجلي (لو 9: 28-36 وغيره من الأناجيل)، ويطلق عليه النبي الحي في التقليد المسيحي.

يعتقد التقليد اليهودي بأن موقع العبور هو نفس الموقع الذي استخدمه يشوع، ويعتقد المسيحيون بأنه نفس مكان تعميد المسيح على يد يوحنا المعمدان، وموقع صعود إيليا هو موقع تل الخرار[25]، المعروف أيضاً بتل مار الياس.

ورد ذكره في القرآن، والسنة النبوية. حيثُ ورد ذكره في القرآن 3 مراتٍ؛ مرةً في سورة الأنعام، ومرتين في سورة الصافات (على اعتبار أنَّ إلياسين هو نفسه إلياس؛ وذلك لأنَّ العرب تُلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها). حيثُ ورد ذكره في سورة الصافات (*وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ*) سورة الصافات، الآيات 123-132. كما ورد ذكره في سورة الأنعام، حيثُ ذُكر أنه من ذُرية النبي إبراهيم (*وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ*) سورة الأنعام، الآيات 84-85.

اختلف المؤرخون المسلمون في نسبه وفي القوم الذين أُرسل إليهم. فقال الطبري: أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن أليعازر بن هارون. وقيل: إلياس بن العازر بن أليعازر بن هارون بن عمران، كما قيل: إلياس بن ياسين بن فنجاص بن عنزار ابن النبي هارون. وقيل: إلياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران. لكن يتفق العديد من رجال الدين المسلمين بأنَّ إلياس هو نفسه إيليا.

[25] الخرار من كلمة الخرير والخرير صوت الماء المنساب من المنحدر.

حيثُ ذكر المجلسي (لا يبعد اتحاد إلياس وإليا لتشابه الاسمين والقصص المشتملة عليهما).

إدريس وإلياس

ذهب بعض العلماء إلى أنهما -أي إلياس وإدريس- اسمان لنبي واحد، وأن إلياس هو إدريس وإدريس هو إلياس، لكن تداخل الإسرائيليات بهذا الموضوع يجعل الأمر غير مؤكد.

قصة مكان "النبي السابق"

النبي السابق هو القديس يوحنا المعمدان (الاسم حسب التقليد المسيحي) أو يحيى بن زكريا (الاسم حسب السُنة الإسلامية).

لم يُذكر يوحنا المعمدان في الكتاب اليهودي المقدس، بل جاء ذكره في العهد الجديد والقرآن الكريم فقط. ويخطأ الكثير من الناس فيظنون أن يوحنا ذُكرت قصته في التوراة أو في العهد القديم، وهذا ليس صحيح.

ويوحنا أو يحيى وُلد بحسب إنجيل لوقا من زكريا الكاهن وأليصابات في عين كارم، ويسمى بالسابق لأنه ولد قبل السيد المسيح ببضع شهور، وهو من عمّد السيد المسيح. ويقدسه أتباع الديانة الصابئية المندائية كنبي حيث ينسب له كتاب دراشة أد يهيا (تعاليم يحيى) وهو أحد الكتب المقدسة في الديانة المندائية، كما يعتبر نبياً حسب الديانة الدرزية والبهائية.

يقول العهد الجديد أن يوحنا بدأ تبشيره في السنة الخامسة عشر من حكم تيبريوس، أي بين عامي 28 أو 29 للميلاد، فانتقل من البرية إلى النواحي المحيطة بنهر الأردن، ومن هناك أخذ ينادي بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا لأنه اقترب ملكوت السموات، وهو بذلك كما يرد في العهد الجديد يحقق النبؤة التي وردت عنه في سفر أشعياء، وتضيف الأناجيل أنه كان يمهد الطريق ويعدّهُ أمام المخلص القادم من بعده. ونال يوحنا بكلامه ومعموديته اهتمام أهل اليهودية كلها فتقاطرت إليه جموع الناس طالبة التوبة، خصوصًا أنه كان زاهدًا، يلبس ثوبًا من وبر الجمال، ويشدّ وسطه بحزام من جلد ويأكل الجراد والعسل. ولعل أحد الأسباب التي دفعت الجموع للذهاب إليه هو انتقاده المباشر للملك هيرودوس أنتيباس والفريسيين وغيرهم.

أما انتقاده لهيرودس فجاء بسبب زواجه من هيروديا زوجة أخيه، فقرر الملك سجنه، وكانت هيروديا حاقدة على يوحنا من ذلك، وفي عيد ميلاد الملك هيرودس دعا كبار القوم لعشاءٍ في مكان لم يوضحه الكتاب المقدس (متى 14) فدخلت ابنة هيروديا المدعوة سالومي ورقصت للملك، فسرّ هيرودس من

سالومي، وقال لها أطلبي ما تشائين وسوف يتحقق حتى ولو نصف مملكتي وأقسم على هذا أمام الجمع فخرجت الصبية وذهبت لأمها فأشارت لها بطلبت رأس يوحنا المعمدان، فأخبرت الملك بطلبها أمام الجمع، فحزن الملك جداً لأجل القسم، ثم أمر الملك بما تريد، فقطع رأس يوحنا المعمدان وقُدِم لها على طبق. فأخذته سالومي لأمها، وعندما سمع تلاميذه بموته جاؤوا وأخذوا جثته ووضعوها في قبر. أما قبره فمجهول ولكن مصادر تقول أنه دفن في السامرة ثم نُقلت رفاته إلى كنيسة القديس سلفستر في روما، كما تقول بعض المصادر أن رأسه دفن في كنيسة في دمشق والتي تحولت لاحقًا إلى مسجد بني أمية (الجامع الأموي).

أما في الإسلام فيعرف يوحنا المعمدان باسم يحيى حيث ورد ذكره في سورة مريم، كابن لزكريا كافل مريم وابن خالة عيسى.

تتعدد الآيات التي تتحدث عن القديس يوحنا المعمدان في العهد الجديد لكن مختصر قصة حياة (سابق المسيح) يمكن تلخيصها كالآتي من العهد الجديد.

أولاً الولادة- الفصل الأول من إنجيل لوقا:

1 -ولد هذا النبي الشهيد بحسب انجيل لوقا من والدين تقيين هما زكريا الكاهن وأليصابات ويذكر التقليد المسيحي عين كارم على أنها موطن هذه العائلة، وهو من سبط لاوي.

2 -معجزة الحبل وخرس زكريا.

3 -العيش في البراري إلى يوم ظهوره.

ثانيًا الظهور- الفصل الثالث من إنجيل لوقا والفصل الرابع من إنجيل متى وانجيل يوحنا الفصل الأول:

1 -الظهور وتعميد الناس في نهر الأردن.

2 -تبشيره بالمسيح.

3 -تعميد السيد المسيح.

ثالثًا: استشهاد يوحنا المعمدان- الفصل السادس من إنجيل مرقس.

أما في الإسلام:

فذُكر اسم يحيى في القرآن خمس مرات وهي:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ٣٩﴾ آل عمران:39

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٥﴾ الأنعام:85

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧﴾ مريم: 7

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ١٢﴾ مريم:12

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ٩٠﴾ الأنبياء:90

وجاء ذكره في عدد من الأحاديث النبوية، منها ما رواه أحمد بن حنبل قال: حدثنا عفان، ثنا أبو خلف موسى بن خلف، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممطور، عن الحارث الأشعري أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إنَّ اللهَ أوحَى إلى يحيَى بنِ زكريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بهنَّ ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ فكأنَّه أبطأ بهنَّ فأتاه عيسَى فقال إنَّ اللهَ أمرك بخمسِ كلماتٍ أن تعملَ بهنَّ وتأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ فإمَّا أن تُخبرَهم وإمَّا أن أخبرَهم فقال يا أخي لا تفعلْ فإنِّي أخافُ إن سبقتَني بهنَّ أن يُخسَفَ بي أو أعذَّبَ قال فجمع بني إسرائيلَ ببيتِ المقدسِ حتَّى امتلأ المسجدُ وقعَدوا على الشُّرفاتِ ثمَّ خطبهم فقال إنَّ اللهَ أوحَى إليَّ بخمسِ كلماتٍ أن أعملَ بهنَّ وآمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بهنَّ أولاهنَّ لا تُشرِكوا باللهِ شيئًا فإنَّ مَثلَ من أشرك باللهِ كمثلِ رجلٍ اشترَى عبدًا من خالصِ مالِه بذهبٍ أو ورِقٍ ثمَّ أسكنه دارًا فقال اعملْ وارفعْ إليَّ فجعل يعملُ ويرفعُ إلى غيرِ سيِّدِه فأيُّكم يرضَى أن يكونَ عبدُه كذلك فإنَّ اللهَ خلقكم ورزقَكم فلا تُشرِكوا به شيئًا وإذا قمتُم إلى الصَّلاةِ فلا تلتفتوا فإنَّ اللهَ يُقبِلُ بوجهِه إلى عبدِه ما لم يلتفتْ وأمركم بالصِّيامِ ومَثلُ ذلك كمثلِ رجلٍ في عصابةٍ معه صُرَّةُ مِسكٍ كلُّهم يحبُّ أن يجدَ ريحَها وإنَّ الصِّيامَ أطيبُ عند اللهِ من ريحِ

المسكِ وأمركم بالصَّدقةِ ومَثلُ ذلك كمثلِ رجلٍ أسره العدوُّ فأوثقوا يدَه إلى عنقِه وقرَّبوه ليضربوا عنقَه فجعل يقولُ هل لكم أن أفديَ نفسي منكم وجعل يُعطي القليلَ والكثيرَ حتَّى فدَى نفسَه وأمركم بذكرِ اللهِ كثيرًا ومَثلُ ذلك كمثلِ رجلٍ طلبه العدوُّ سِراعًا في أثرِه حتَّى أتَى حصنًا حصينًا فأحرز نفسَه فيه وكذلك العبدُ لا ينجو من الشَّيطانِ إلَّا بذكرِ اللهِ».

ويعتبر والده زكريا في الإسلام نبي، أمّا في المسيحية فهو كاهن تقي (بار) وذكر زكريا في القرآن سبع مرات:

آل عمران الآيتين 37 و38 : *فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ،*

والأنعام الآية 85 : *وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ*

ومريم الآيتين 2 و7 : *ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا وقال: يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا*

والأنبياء الآية 89 : *وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ.*

قصة مكان " مكاور ويوحنا المعمدان"

ورد عن يوسيفوس المؤرخ بعض الأحداث عن يوحنا المعمدان ويقال أنه الوحيد الذي ذكر مكان استشهاد يوحنا المعمدان، مُحددًا قلعة مكاور بأنها المكان الذي شهد قطع رأسه، وأن هذه القلعة الي عاش فيها هيرودس تدمرت بعد 70 ميلادية على يد الرومان بعد أن احتمى فيها الثوار اليهود نظرًا لموقعها المتميز، فقال في معرض حديثه عن يوحنا: بعض اليهود ظنوا ان خراب جيش هيرودس اتى من الله وكان عقاب عادل لما فعله ضد يوحنا الملقب بالمعمدان لان هيرودس قتله رغم انه كان رجل صالح وقد حث اليهود على الفضيلة... وهيرودس الذي خاف من تأثيره القوي على الشعب قد يحمل على ثورة – لأنهم كان يبدوا مستعدين لان يفعلوا أي شيء ينصحهم به—فاعتقد أنه أفضل كثيرًا لأن يتحرك الآن... وهكذا يوحنا بسبب شكوك هيرودس أرسل في سلاسل الى مكاريوس القلعة وهناك تم قتله.

لكن هل من شواهد أثرية أو أدلة مادية؟ حتى تاريخ كتابة هذا الكتاب لا يوجد ما يدعم هذا الأمر سوى ما ذكره سيوسيفيوس. ولا توجد أي شواهد أثرية تؤكد المكان الذي قُتل فيه يوحنا ولا حتى مكان دفنه، تمامًا كما أنه لا توجد شواهد أثرية تؤكد مكان موت ودفن النبي موسى، ولكن هل سيعتمد الدليل السياحي على الشواهد الأثرية وحدها في سرديته الدينية؟ بالتأكيد لا، لأنه كما سبق وأسلفنا فإن الكتابات الدينية تُشير لموسى وتُشير ليوحنا المعمدان وهي الأساس في السرد التاريخي لقصة المكان أو الموقع المرتبط بهما أو بغيرهم، وأن المجموعات التي التي تأتي للحج أو الصلاة أو حتى للسياحة تأتي بناءً على إيمانها العميق بصدق وصحة ما ورد في الكتب المقدسة.

قلعة مكاور

تقع هذه القلعة الرومانية تقع على بعد 32 كم جنوب غرب مادبا، بناها الملك هيرودوس الكبير لتكون حصنًا أمام هجمات مملكة الأنباط، وتتربع القلعة على قمة جبل مكاريوس (مخاريوس – وقد يكون معناها الجبل المستدير أو باليونانية السيف) والذي يبلغ ارتفاعه أكثر من 730م عن سطح البحر، وفقًا للمصادر التاريخية، بنيت القلعة عام 90 ق.م على يد القائد الحشموني الاسكندر جانيوس لتصد حشود الجيوش الرومانية، إلا ان الرومان استولوا عليها عام 57 ق. م ودُمرت على يد القائد الروماني بومبي، ثم سيطر عليها هيرودس الكبير خلال الفترة 25- 13 ق. م وأعاد بنائها وبنى حولها سورًا ضخمًا، وبعد ذلك آلت القلعة إلى ابنه هيرودوس انتيباس، ثم سيطر عليها الثوار اليهود فدخلتها الجيوش الرومانية في عام 71م ميلادية ودمروها، ومع مرور الزمن أهملت وتدمرت بسبب الزلازل ولم يتبق منها إلا الساحات والبرك والأعمدة، ويعتقد أن جزء منها تحول لكنيسة في الفترة البيزنطية ثم تدمرت هذه الكنيسة بسبب الزلازل، وطوى القلعة النسيان حتى القرن التاسع عشر، حين دون بعض الرحالة زيارتهم لها منهم الرحالة الألماني زيتسن عام 1807م، والرحالة تراسترام عام 1872م، والرحالة ايبل عام 1909 ووصفها بشكل جيد، ثم قام فريق أثري مشترك من معهد الآباء الفرنسيسكان ودائرة الاثار العامة الأردنية بإجراء العديد من الحفريات في الموقع كان أولها في عام 1978م وذلك من أجل الكشف عن البقايا الأثرية في الموقع، إلا أن القلعة نالها الاهمال بعد عدة ترميمات بعضها خاطئ، وتعرضت للكثير من أعمال الحفر غير القانوني من العابثين، والتخريب والهدم.

قصة مكان "معمودية السيد المسيح" - المغطس

يقسم المغطس إلى قسمين شرقي وغربي، الشرقي يقع في الإتجاه الأردني والغربي وهو الأقدم يقع ضمن الأراضي المحتلة، ولكن عالميًا ومسيحيًا يُعتقد أن المغطس الفعلي يقع ضمن الأراضي الأردنية.

والمغطس هو المكان الذي تعمد به يسوع على يد يوحنا المعمدان.

جرت أول حفريات أثرية في الجانب الأردني في عام 1996، وقبل ذلك كانت المنطقة منطقة عسكرية مغلقة، فلم تتمكن الفرق الأثرية من الوصول والحفر العلمي للمكان بسبب الألغام وتهديدات الكيان الصهيوني، لكن بعد توقيع اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية عام 1994 جرى إزالة الألغام والسماح بالكشف العلمي عن الموقع. تمت هذه الحفريات على امتداد وادي الخرار بناءً على الأدلة الواردة في النص الإنجيلي، وكتابات المؤرخين البيزنطيين ومؤرخي العصور الوسطى، حيث اعتقد علماء الآثار بناءً على هذه الأدلة على أن الموقع الحقيقي للمغطس هو في الجانب الشرقي من نهر الأردن، فيتحدث إنجيل يوحنا (28:1) عن «*بيت عنيا عبر الأردن حيث كان يوحنا المعمدان يعمد*» ويشار هنا إلى عبارة «عبر الأردن» إلى الضفة الشرقية من النهر. وفي إشارة لاحقة إلى نفس الموقع على الضفة الشرقية يقول إنجيل يوحنا (40:10) أن يسوع المسيح قد سافر أيضاً عبر الأردن حيث كان يوحنا المعمدان يعمد في البداية وذهب مرة أخرى إلى نفس المكان وأقام هناك. وخلال الحفريات في عام 1997، تم العثور على سلسلة من المواقع القديمة المرتبطة بالموقع الذي كان يعمد فيه يوحنا المعمدان والذي تعمد فيه يسوع المسيح. وتقع سلسلة المواقع هذه على امتداد وادي الخرار، شرقي نهر الأردن. حيث تم اكتشاف دير بيزنطي على بعد حوالي 3 كم شرقي نهر الأردن في بداية وادي الخرار. وهناك عدة ينابيع طبيعية تشكل بركاً يبدأ منها تدفق الماء إلى وادي الخرار، وتصب في النهاية في نهر الأردن.

يوجد ثلاث برك في تل الخرار، وتقع البركة الأولى في المنحدر الغربي السفلي للتل، وهي تعود للعهد الروماني، أي ما بين القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد.

أما البركتان الاخريتان، فهما يقعان على قمة الطرف الشمالي لتل الخرار. والبركة الجنوبية مستطيلة الشكل ولها درج داخلي على الجهة الشرقية وأربع درجات تمتد على امتداد عرض البركة، ويمكن مشاهدة ذلك بوضوح. ويستطيع الحجاج النزول إلى البركة من اجل أن يتعمدوا.

هنالك بركتان مربعتان تعودان إلى نفس الفترة الرومانية. وقد أضيفت الحجارة المربعة المنحوتة إلى الزاوية الجنوبية الغربية للبركة الشمالية الغربية في فترات لاحقة، وربما كانت تستعمل كدرج للنزول إلى البركة، ويصل الماء إلى البرك بواسطة اقنيه مغطاة بالقناطر.

كما تم الكشف عن تل مار الياس معروف تقليدياً كموقع لصعود النبي إيليا إلى السماء.

في عام 2015، تم تصنيف الموقع كموقع للتراث العالمي من قبل اليونسكو، باستثناء الجانب الغربي من النهر.

ويعتقد أن هذا المكان شهد عبور بني إسرائيل بأمر من يشوع (هوشع) حيث عبروا النهر، مما جعل مياهه تتوقف في أثناء عن تدفقهم *"وَلَمَّا ارْتَحَلَ الشَّعْبُ مِنْ خِيَامِهِمْ لِكَيْ يَعْبُرُوا الأُرْدُنَّ، وَالْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ الْعَهْدِ أَمَامَ الشَّعْبِ، فَعِنْدَ إِتْيَانِ حَامِلِي التَّابُوتِ إِلَى الأُرْدُنِّ وَانْغِمَاسِ أَرْجُلِ الْكَهَنَةِ حَامِلِي التَّابُوتِ فِي ضَفَّةِ الْمِيَاهِ، وَالأُرْدُنُّ مُمْتَلِئٌ إِلَى جَمِيعِ شُطُوطِهِ كُلَّ أَيَّامِ الْحَصَادِ، وَقَفَتِ الْمِيَاهُ الْمُنْحَدِرَةُ مِنْ فَوْقُ، وَقَامَتْ نَدًّا وَاحِدًا بَعِيدًا جِدًّا عَنْ «أَدَامَ» الْمَدِينَةِ الَّتِي إِلَى جَانِبِ صَرْتَانَ، وَالْمُنْحَدِرَةُ إِلَى بَحْرِ الْعَرَبَةِ «بَحْرِ الْمِلْحِ» انْقَطَعَتْ تَمَامًا، وَعَبَرَ الشَّعْبُ مُقَابِلَ أَرِيحَا. فَوَقَفَ الْكَهَنَةُ حَامِلُو تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ عَلَى الْيَابِسَةِ فِي وَسَطِ الأُرْدُنِّ رَاسِخِينَ، وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ عَابِرُونَ عَلَى الْيَابِسَةِ حَتَّى انْتَهَى جَمِيعُ الشَّعْبِ مِنْ عُبُورِ الأُرْدُنِّ."* (يشوع 3: 14-17). وسُمي هذا المكان بالأبرة أو بيت العبور أو بيت المعبر أو بيتابارا، المعروفة الآن باسم بيثاني ما وراء الأردن وظهرت بشكل واضح في خريطة مادبا، ويعتقد أيضًا أنها كمكان عبر فيه النبي إيليا فيما بعد نهر الأردن.

ورغم أن الكيان الصهيوني يحاول تقديم المغطس في الأراضي المحتلة كالمكان الرسمي لتعميد المسيح ويوافقه في ذلك عدد قليل من علماء الكتاب المقدس وبعض علماء الآثار الكتابيين، إلا أن المجلس الدولي للمعالم والمواقع ICOMOS يرجح بناءً على ملف علمي متكامل بأن المغطس على الجانب الأردني كموقع للتراث العالمي يرتبط تاريخيا بمعمودية المسيح، ونصحت بأن تحقيقها في موقع المغطس للاعتراف به كمركز تراث عالمي يثبت دون شك أن المعالم الأثرية تتعلق بالفعل تاريخيا بمعمودية يسوع. أما معظم الطوائف المسيحية الكبرى فتعترف بأن المغطس الأردني هو المكان الأدق لمعمودية المسيح.

يُشار إلى أن الحفريات الأثرية كشفت أيضًا عن آثار في هذا الموقع تعود لفترات سابقة، حيث استقر لأول مرة من قبل مجموعة صغيرة من المزارعين خلال العصر الحجري القديم، حوالي 3500 قبل الميلاد، وهناك دلائل أخرى على استيطان من الفترة الهلنستية والفترة الرومانية، أما في الفترة البيزنطية وبدءاً من القرنين الخامس والسادس، تم بناء الكنائس والأديرة في تل الخرّار، وتل النبي إيليا، حيث وجدت آثار لدير هناك يعود للقرن الخامس، سماه علماء الآثار دير ريتوريوس كما أشارت كتابة فسيفسائية، كما كُشف عن العديد من المعابد الصغيرة والكهوف التي كانت تُستخدم كقلالي[26] للرهبان والنساك والحجيج.

إلا أن الكثير من الفيضانات والزلازل عبر الزمن دمرت الكنائس والأديرة، والتي أعيد بناءها عدة مرات، إلى أن هجرت بسبب الدمار الواسع في القرن السادس أو السابع الميلادي. ونظرًا لقيام الحجاج لاحقًا بزيارة كنيستي القيامة والمهد في فلسطين، فإن معظم الحجاج كانوا يقومون بزيارة المغطس في الضفة الغربية لسهولة الوصول له، مما اسهم بإعادة بناء بعض الكنائس في الجهة الغربية للنهر، في حين أن الجانب الشرقي من المغطس تعرض للاهمال، إلى أن تراجع الحج إلى الموقع ككل في القرن الخامس عشر واستمر هجر الموقع تقريبًا إلى القرن العشرين، وساهمت حرب النكسة في عام 1967 -حيث أصبح

[26]) مفرد قلاية وهي غرفة أو مغارة خاصة بالراهب في الدير أو في جبل.

النهر خط وقف إطلاق النار- بمنع وامتناع الزيارات للمغطس خصوصًا الجانب الشرقي منه، إلى عام 1981 و 1982، حيث سمح الكيان الصهيوني للمسيحيين بالوصول لموقع غربي النهر وممارسة المعمودية في موقع يارد نيت إلى الشمال، ثم كما أسلفنا بعد توقيع معاهدة السلام بين الكيان والأردن في عام 1994 تم تسهيل الوصول إلى المغطس في الجانب الشرقي منه وتم بناء عدة كنائس حديثة في الموقع.

في عام 2015، أعلنت اليونسكو موقع المغطس على الضفة الشرقية لنهر الأردن كموقع للتراث العالمي وفق المعيارين (iii)(vi) والقيمة الاستثنائية العالمية التي سجل المغطس ضمنها أن المغطس يشمل البقايا المادية المرتبطة بإحياء ذكرى معمودية السيد المسيح تاريخيًا وتشمل نظامًا لجمع المياه، وحمامات، وكنائس، ومصليات صغيرة، وديرًا، وكهوفًا للناسكين، وبركة معمودية صليبية الشكل، ومحطة للحجاج. وأنها تشهد على البدايات المبكرة للمسيحية، بالإضافة إلى أهميته تلك فإن الموقع يرتبط أيضًا بحياة وصعود إيليا النبي إلى السماء.

أهمية المغطس

يرتبط موقع المغطس بثلاث عناصر مهمة:

1 -الحدث: معمودية السيد المسيح على يد يوحنا المعمدان، وتصبح المعمودية رمز وإشارة لدخول المؤمن بالمسيح للمسيحية، وفي هذا الحدث ظهرت 3 إشارات دينية الأولى بداية بشارة السيد المسيح والثانية حلول الروح القدس عليه على هيئة حمامة والثالثة صوت من السماء، يقول الكتاب:

(13 حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. 14 وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ«! 15 فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. 16 فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، 17 وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ») انجيل متى الاصحاح 3.

2 -الشخصيات: السيد المسيح ويوحنا المعمدان وجموع الناس.

3 -الأهمية: بداية رسالة السيد المسيح الفعلية، ونهاية رسالة يوحنا المعمدان.

جدلية اسم المكان، بيت عبرة أو بيت عنيا:

وقع لبس في تسمية المغطس هل هو بيت عبرة أم بيت عنيا، فيقول الكتاب المقدس في انجيل يوحنا 1: 28 *"هذا كان في بيت عبرة في عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمد"* وهو اسم المكان الذي كان يوحنا المعمدان يعمد فيه. وقد جاء الاسم في النسخة السينائية "بيت عنيا" بينما جاءت في الترجمة السبعينية "بيت عبرة" لكن قطعًا هي ليست بيت عنيا التي عاش فيها لعازر وأختاه مريم ومرثا وفي هذه المدينة أقام المسيح لعازر من الموت، وقد ذهب في هذه المدينة حين صعد لأروشليم، واليوم تسمى العيزرية التي أخذت اسمها من اليعزر الذي أقامه يسوع وتبعد 2 كم شرق مدينة القدس. ولكن أوريجانوس[27] دافع عن أن حقيقة

[27] أوريجينوس الإسكندري هو عالم ساهم في تطوّر الفِكر المسيحي من القرن الثالث الميلادي.

الاسم هو "بيت عبرة" وليس "بيت عنيا" وهناك عدة آراء لتفسير هذا الاختلاف في قراءة الاسم، فبعضهم يرى أن "بيت عنيا" ومعناها "بيت السفينة"، وبيت عبرة ومعناها "بيت المخاضة أو العبور" هما اسمان لمكان واحد. ويقول البعض أن"بيت عبرة هي "بيت بارة" والتي يُرَجَّح أنها لم تكن على الأردن بل بين النهيرات التي تصب فيه (قض 7: 24)، ويرى بعض علماء اللاهوت أن بيت عبرة هي "بيت نمرة" (يش 13: 27) استنادًا إلى ما جاء في الترجمة السبعينية، وتقع بيت نمرة على بُعْد عدة أميال قليلة من أريحا، قريبة من القدس (انظر مت 3: 5؛ مرقس 1: 5)، وتلقى هذه الفرضية قبولا عند كثيرين. أما علماء آخرون فيتبنون فرضية أن الموقع التقليدي للمدينة هو عند المخاضة التي في شرقي أريحا، ولكن بناءً على ما جاء في إنجيل يوحنا (يو 1: 29، 3، 43)، كانت على بُعْد يوم واحد من قانا الجليل، بينما كانت على بُعْد يومين أو ثلاثة من "بيت عنيا" (يو 10: 40؛ 11: 3، 6، 17).

الأرجح أن كلا الاسمين كانا يطلقان على موقع المغطس، لكن بيت عبرة كان الاسم الأكثر ترجيحًا والله أعلم.

قصة مكان "أهل الكهف"

ويطلق عليها أيضًا أصحاب الكهف، ولا تختلف الرواية في المصادر الإسلامية كثيرًا عن نظيرتها المسيحية، باستثناء أن الرواية الإسلامية لم تذكر عدد النائمين داخل الكهف ولا أسمائهم ولا زمان وقوع الحادثة أو مكانها، ذلك لأن النص القرآني يُركِّز على الحدث بذاته. بينما أهل الكهف لم تذكر في الكتاب المقدس بل في التقليد المسيحي.

تقع أهل الكهف في الأردن في منطقة الرجيب (جبل الرقيم) في عمان الشرقية وهناك مواقع أخرى في أفسس التركية وغيرها، لكن الموقع الأكثر دقة هو في الأردن وهو ما أيده بعض المؤرخين والمفسرين المسلمين الذين تأثروا بالروايات المسيحية منهم الطبري وابن كثير والزمخشري والمسعودي وغيرهم، والبعض الأخر نفى أن يكون موقع الكهف في مدينة أفسس التركية مستندين على عدد من الروايات التاريخية التي تثبت أن العديد من الصحابة وقادة الجيوش الإسلامية قد ذكروا أن موقع الكهف يقع في الرقيم حيث زاروا هذا الموقع وعرفوه، ومنهم الواقدي والصحابي عبادة بن الصامت الذي مر على الكهف في زمن عمر بن الخطاب وأيضا معاوية بن أبي سفيان، وكذلك حبيب بن مسلمة وابن عباس قد دخلوا هذا الكهف ورأوا عظام أصحاب الكهف.

ذكرت قصة أصحاب الكهف في القرآن في سورة الكهف في الآيات من 9-26، وهي لا تختلف كثيرًا عن تلك المذكورة في المصادر المسيحية باستثناء التفاصيل، تتحدث الرواية الإسلامية أيضًا عن فتية آمنوا بالله وحده، ونبذوا عبادة الأصنام التي كان يعبدها قومهم، ثم أختبئوا في كهف هربًا من قومهم، وناموا فيه لعشرات السنين ثم بعثهم الله بعد ذلك. تبدأ القصة بمخاطبة النبي بأن لا يتعجب من قصة أصحاب الكهف فهي ليست أمرًا عجيبًا في قدرة الله وسلطانه، وأن هذه المعجزة هي من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله، وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء: ﴿*أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ*

أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ الكهف:9–26.

أما الرواية المسيحية والتي ذُكرت كما أسلفنا في التقليد المسيحي فتسميهم النيام السبعة أو قديسو أهل مغارة أفسس، حيث يقال أنها حدثت في زمن الإمبراطور الروماني ديقيانوس (القرن الثالث الميلادي)، تتحدث عن فتية تعرَّضوا

للإضطهاد بسبب إيمانهم بالمسيح وتركهم لعبادة الأوثان، فهربوا واختبأوا في كهف وناموا لمدة طويلة تقدر بعشرات السنين، وعندما استيقظوا بمعجزة أرسلوا أحدهم إلى القرية ليحضر لهم الطعام، فلاحظ أنَّ معالم القرية قد تغيَّرت واختلف الناس، كما أنَّ النقود التي يملكها لم يعد أحد يستخدمها منذ مدة طويلة جدًا، فسأله أهل القرية عن حكايته فحكى لهم ما كان.

يعود أقدم نص مكتوب لهذه الرواية إلى الأدب السرياني المسيحي الذي اشتُهر بين القرنين الخامس والسادس الميلادي.

تجمع المصادر السريانية بأن موقع الكهف هو على مرتفع يدعى جبل (انكيلوس) في ضواحي مدينة أفسس الواقعة في تركيا اليوم.

أما أسمائهم حسب التقليد المسيحي: القديسون مكسيميان، ملخوس، مارتنيان، ديونيسيوس، يوحنا، سيرابيون، قسطنطين.

قصة مكان "كاسترون ميفعة (أم الرصاص)"

ذُكِر في تاريخ ميفعه أن الرسول قد زارها عندما كان طفلا. وكان بها راهب يُسمى بحيرة الراهب ضمن مجموعة من الرهبان، وقد رأى ملامح النبوة فيه خلال اللقاء القصير العابر الذي جمعهما في أم الرصاص، وبعض الروايات تتحدث أن اللقاء تم في الشام وأخرى تتحدث أنها جرت في بصرى الشام. وقد ثبت في السنة النبوية مقابلة الرسول لراهب دون ذكر اسمه في روايتين صحيحين الأولى عن أبي موسى الأشعري ورواها الترمذي والحاكم والثانية عن أبي مجلز رواها ابن سعد كما وضّح ذلك الشيخ الألباني، ولكن ورد اسم بحيرى الراهب في رواية ابن اسحق ولكنها دون اسناد. كما وردت في كتاب ابن منظور " حدّث ابو داوود سليمان بن موسى : أن أبا طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الشام فلما مروا بقرية يقال لها ميفعة من أرض البلقاء وفيهم راهب يقال له بحيرى، فخرج اليهم بحيرى وكانوا قبل ذلك يقدمون ولا يخرج اليهم ولا يلتفت، فجعل يتخللهم حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا الذي بعثه الله رحمة للعالمين"، أما رواية أبي موسى الأشعري فأخرجها الترمذي في سننه وأبو نعيم في دلائل النبوة والحاكم في المستدرك وابن عساكر في تاريخ دمشق» بأسانيد متعددة عن قراد أبي نوح: أنبأ يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فعلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل، قال: أرسلوا إليه، فأقبل وعليه غمامة تظله، فلما

دنا من القوم وجد القوم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. والحديث حسنه الترمذي وإسناده جيد وقد صححه الحاكم والجزري وقواه العسقلاني والسيوطي وقد بين الشيخ الألباني صحته على طريقة أهل الحديث. وأما الرواية الأخرى فأخرجها ابن سعد في الطبقات الكبرى: أخبرنا خالد بن خداش: أخبرنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز أن عبد المطلب أو أبا طالب -شك خالد- قال: لما مات عبد الله عطف على محمد، قال فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزله فأتاه فيه راهب، فقال: إن فيكم رجلاً صالحاً، فقال: إن فينا من يقري الضيف ويفك الأسير ويفعل المعروف، أو نحواً من هذا، ثم قال: إث فيكم رجلاً صالحاً، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟ قال: ها أنا ذا وليه، أو قيل. هذا وليه، قال: احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود حسد، وإني أخشاهم عليه، قال: ما أنت تقول ذاك ولكن الله يقول، فرده، قال اللهم إني أستودعك محمداً، ثم إنه مات.

السؤال المهم: هل زار السيد المسيح الأردن؟

يجيب عن هذا السؤال المطران سليم الصائغ في كتابه الآثار المسيحية في الأردن نقتبس منها بعض ما قاله: "حقيقة تاريخية لا مجال للريب فيها وهي أن السيد المسيح أقام في ربوعنا، فباركها وبارك أهلها الذين كانوا يتوافدون إليه كلما أقام عندهم أو مرّ بهم، كما كانوا يقصدونه في الأماكن المجاورة، ليستمعوا إليه، كما ورد في انجيل مرقس 3/7-8 (*انصرف يسوع الى البحر ومعه تلاميذه، فتبعه حشد كبير من الجليل، واليهودية، وأورشليم وأدوم، وعبر الاردن ونواحي صور وصيدا*). وإذا ماعدنا إلى خريطة فلسطين والأردن، زمن السيد المسيح، يتضح لنا أن (عبر الأردن) منطقة تضم الأغوار الواقعة شرقي نهرالأردن من جنوب طبقة فحل (بيلا) وحتى البحر الميت، ومنطقة مادبا حتى الموجب، ومصبه في البحر الميت، ومنطقة السلط ووادي الزرقاء (جابوق) والجبال المحيطة به، قبل أن ينساب في الغور ويصب في نهر الأردن، وما تبقى من أراضي الأردن الحالية، باستثناء الصحراء الممتدة شرقاً وجنوباً، وباستثناء جنوب الأردن، فقد ضمّها حلف المدن العشر. وكان معظم هذه المدن في الأردن الحالي. وحادثة طرد الشياطين وغرق الخنازير (مت 8: 28) وقعت بالقرب من مدينة جدارا "أم قيس" في شمال الأردن، وهي إحدى المدن العشر... ويتابع الإنجيلي (يوحنا) قائلا: *وكان يوحنا (المعمدان)*[28] *في الغد أيضًا قائمًا هناك، أي في بيت عنيا عبر الأردن، ومعه اثنان من تلاميذه. فحدق إلى يسوع وهو سائر وقال: هوذا حمل الله. فسمع التلميذان كلامه فأدركا على الفور فحوى تلك العبارة، فتبعا يسوع من غير تردد. فلما رآهما يسوع يتبعانه، قال لهما: ماذا تريدان؟ فأجابا بإحدى تلك العبارات المرتبكة التي كثيرًا ما تكتشف من خلالها أصفى العواطف رابي "أي معلم" أين تقيم؟ فقال لهما: هلما فانظرا. ويضيف النص أنهما ذهبا ونظرا أين*

[28] يجب التفريق بين يوحنا الإنجيلي وهو أحد الرسل (الحواريين) وبين يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا).

يقيم. وربما كان يقيم في إحدى المغر وأنهما مكثا عنده ذلك اليوم (يو 1: 35-39)...".

بالتالي لا بد أن نؤكد أن المسيح وصل الأردن عدة مرات وأنه خلال جولاته بين الشمال والجنوب كان يعبر نهر الأردن نحو الشرق ويقيم في الأراضي الأردنية ساعات وأيام وأسابيع أو أكثر، وكان يُقيم في مغرٍ على الأغلب وبالتالي هذا قد يفسر وجود اسماء لمغر باسم المسيح أو يعتقد أن المسيح قد مر فيها منها كهف المسيح في بيت إيدس وكهف المسيح في عراق الأمير، إلا أن التأكيد بأن المسيح قد أقام في هذه المغر غير مؤكد أثريًا أو تاريخيًا بالتالي لا يمكن الاعتماد على معلومات لا مصادر أو مراجع مؤكدة عليها.

ولا ننسى رواية مهمة وردت في إنجيل متى عن زيارة السيد المسيح لأم قيس فيقول: 28 وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْعَبْرِ إِلَى كُورَةِ الْجِرْجَسِيِّينَ، اسْتَقْبَلَهُ مَجْنُونَانِ خَارِجَانِ مِنَ الْقُبُورِ هَائِجَانِ جِدًّا، حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتَازَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ. 29 وَإِذَا هُمَا قَدْ صَرَخَا قَائِلَيْنِ: «مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ؟ أَجِئْتَ إِلَى هُنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِتُعَذِّبَنَا؟» 30 وَكَانَ بَعِيدًا مِنْهُمْ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرْعَى. 31 فَالشَّيَاطِينُ طَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ تُخْرِجُنَا، فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ». 32 فَقَالَ لَهُمُ: «امْضُوا». فَخَرَجُوا وَمَضَوْا إِلَى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ، وَإِذَا قَطِيعُ الْخَنَازِيرِ كُلُّهُ قَدِ انْدَفَعَ مِنْ عَلَى الْجُرُفِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمَاتَ فِي الْمِيَاهِ. 33 أَمَّا الرُّعَاةُ فَهَرَبُوا وَمَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَخْبَرُوا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَنْ أَمْرِ الْمَجْنُونَيْنِ. 34 فَإِذَا كُلُّ الْمَدِينَةِ قَدْ خَرَجَتْ لِمُلاَقَاةِ يَسُوعَ. وَلَمَّا أَبْصَرُوهُ طَلَبُوا أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْ تُخُومِهِمْ" (متى 8: 28-34) وكورة الجرجسيين هذه هي منطقة أم قيس ككل الممتدة من المدينة حتى البحر (بحيرة طبريا).

مواقع مسيحية أخرى

تزخر الأردن بعدد لا بأس به من الكنائس والأديرة لمعظم الطوائف المسيحية الرئيسية، ولعل أكثر الكنائس الأرثوذكسية وهي كنائس شرقية تحمل اسم القديس جاورجيوس، والذي يطلق عليه أيضًا اسم القديس جرجس أو مار جرجس والذي يعتقد أنه عاش في الفترة بين 280 – 303م. ويعتقد أنه من أصلٍ يوناني وبعض المصادر تقول أنه ولد في اللد بفلسطين لأبوين مسيحيين وفي تلك المدينة قبر يُنسب إليه في كنيسة أورثوذكسية جرى تحويل جزء منها لجامع في الفترة العثمانية، ويسمى أيضاً بالقديس جورج وهذا اسمه في الغرب، وجرجة في بعض المصادر العربية، والخضر لدى المسيحيين في منطقة الأردن وفلسطين. ووفقًا للتقاليد المسيحية فقد كان هذا القديس جنديًا أو قائدًا في الجيش الروماني وله أهميته في الحرس الإمبراطوري للإمبراطور الروماني دقلديانوس، ويعتقد أنه أعلن عن إيمانه المسيحي وأصبح مدافعًا عن المسيحية والمسيحيين، فحُكم عليه بالإعدام، ومات شهيدًا. وعادة ما تخلده الكنائس بأيقونة أو لوحة يظهر فيها القديس ممتطيًا صهوة حصانه وهو يطعن تنينًا بحربةٍ، وأحيانًا يظهر في هذه الأيقونة من بعيد بناء صغير وفتاة.

من أشهر الكنائس في الأردن التي تحمل اسم هذا الشهيد، من هذه الكنائس مزار الخضر في السلط، وهو مزار يتبع الكنيسة الرومية الأرثوذكسية اليونانية، وهو الموقع الديني المسيحي الأكثر زيارة في السلط. وتقع الكنيسة في نهاية الشارع المعروف بشارع الخضر.

بنيت الكنيسة أساساً في كهف قديم في عام 1682، حيث يعتقد الناس أن العديد من المعجزات قد حدثت هناك، وفي العام 2008، يعتقد أن بصمة قدم القديس جورج ظهرت بينما كان يهم بنفسه ليصعد على صهوة حصانه. ومن الجدير بالذكر أن المسلمين يمكنهم دخول الكنيسة حيث يمتلكون جزءًا من الكنيسة يمارسون الصلاة فيها.

كما ويوجد في ماحص مقام للخضر لكن لم تقام كنيسة على هذا المقام لأسبابٍ لا أرى داعٍ لكتابتها هنا.

يُشار إلى أن كنيسة خارطة الفسيفساء في مادبا تحمل القديس جاورجيوس أيضًا.

كما أن لقب الخضر يعود إلى أن رسامي لوحات القديس جاورجيوس أو مصممي الإيقونات جعلوا اللون الأخضر يغلب فيها على لباس هذا القديس، وبالتالي يُلقب عند مسيحيو الأردن وفلسطين بالخضر الأخضر.

أما الخضر إسلاميًا فهو شخص مختلف تمامًا، فالخَضِر شخص ورد ذكره في سورة الكهف كعالم دون ذكر اسمه صراحة ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ٦٥﴾ الكهف:65 وتبعه موسى عند مجمع البحرين ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ٦٦﴾ الكهف:66 ويوجد اختلاف حول اعتباره نبي أو ولي صالح، لكن يُلحق المسلمون عبارة عليه السلام عند ورود اسمه.

مواقع إسلامية أخرى

من المؤكد أن الرسول قد زار العديد من الأماكن والمناطق في الأردن ولعدة أسباب، ومنها زيارات قبل البعثة.

فكما ذكرنا سابقًا أنه زار ميفعة أثناء رحلته وهو صبي مع عمه أبو طالب، ولا بد أنه مر من هناك عدة مرات في طريق تجارته من الأردن عندما تاجر مع الشام، فقد عرضت السيدة خديجة على الرسول قبل البعثة أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرًا، وتعطيه أفضل مما كانت تعطي غيره من التجار، وذلك مع غلام لها يقال له (ميسرة) فقبله الرسول منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه ميسرة حتى قدم الشام، فنزل في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان؛ فسأل الراهب ميسرة من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، وقال أنظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. واتفق المؤرخون على أن الشجرة تقع في الصفاوي في الباقوعية (البقيعاوية) - التي سنورد عنها بالتفصيل لاحقًا- تحديدًا حيث دلت المظاهر وبعض الآثار إلى أنه الطريق الصحراوي القديم للقوافل التجارية الذي يربط الحجاز بالشام. ولكن المنطق يقول أن الرسول استظل تحت أكثر من شجرة، وأن أي منها قد تكون الشجرة التي ورد ذكرها في تلك الرواية. ويقال أن من المناطق المؤكدة التي زارها الرسول كل من أيلة (العقبة) وأذرح والجرباء ويقال أن الآخيرتين فتحتا في حياة الرسول صُلحًا. ويقال أن الرسول وصل جرش مرتين. والأغلب أن الرسول كان يمر أثناء زياراته للشام بمعظم المدن الأردنية العامرة في تلك الفترة أقلها للتزود بالماء والغذاء حال كل قافلة تمر من هناك.

وقد ورد ذكر الأردن في السيرة النبوية أقلها مرتين:

1- فقد ثبت عن النبي أنه قال: حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكاوبه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً فقراء المهاجرين، الشعث رؤوساً الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا يفتح لهم السدد. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

2- قال محمد بن إسحاق : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب قال : قال أبو جهل وهم جلوس : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا، فإذا متم بعثتم بعد موتكم، وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن.

الشجرة البقيعاوية

تسمى هذه الشجرة بالشجرة المباركة أو شجرة البقيعاوية، ويقال بأن الرسول استظل بها، في رحلته إلى الشام، ولقائه بالراهب بحيرا الذي بشر بنبوته قبل البعثة بسنين عديدة، تقع في منطقة الصفاوي، يقدر عمرها بحوالي 1500 عام، وهي شجرة بطم، وتعتبر من المواقع الدينية والتاريخية في الأردن، إذ يتبع الموقع لوزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية. وفتح فيها مركز للزوار. يعتقد البعض أن عمر الشجرة أكثر من 1450 سنة، بينما أشارت دراسات حديثة بأن عمر الشجرة لا يتجاوز 600 عام. وتتوسط الشجرة بلدة البقيعاوية الواقعة في الشمال الشرقي من الأردن بين الأزرق والصفاوي، مبتعدة عن العاصمة عمان 150 كم وعن مدينة المفرق 90 كم. ومنطقة البقيعاوية بحسب بعض المصادر شهدت استيطانًا بشريًا منذ العصور الحجرية الحديثة وحتى البرونزية والحديدية، مرورًا بالفترات النبطية والرومانية والبيزنطية، وانتهاءً بالإسلامية، وذلك لوقوعها على طريق القوافل المتجهه إلى بصرى الشام ولكونها تتوسط الحدود السورية السعودية العراقية، مما يدلل على حيوية المنطقة منذ عصور قديمة. وبحسب باحثين، فإنّ هنالك دلائل تشير إلى أن رحلة النبي محمد قبل بعثته كانت إلى أطراف الشام، وكانت محطاتها كثيرة، أهمها اثنتان، أولاهما منطقةُ أم الرصاص إلى الجنوب الشرقي من العاصمة الأردنية عمان، والثانية شجرة البقيعاوية والتي كانت القوافل تتخذ منها محطةً على الطريق، وعلى العكس من ذلك فقد أشار بعض الباحثين بعدم وجود أي طريق تجاري أو طريق حج يمر بقاع البقيعاوية، والله أعلم.

أضرحة الصحابة في الأردن

فيما يلي قائمة بأضرحة الصحابة في الأردن:

1- ضريح أبي عبيدة عامر بن الجراح ويقع في بلدة دير علا في منطقة الأغوار الوسطى، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن مسجد حديث كان قد بُني مكان قُبّة كان قد بناها الظاهر بيبرس.
2- ضريح الحارث بن عمير الأزدي ويقع في لواء بصيرا جنوب مدينة الطفيلة في الأردن، على الطريق الرئيسيّ باتجاه محمية ضانا والبتراء، وهو عبارة عن بناء حديث مع مسجد يوجد في داخله قبر الصحابي الحارث بن عمير الأزدي رسول النبي محمد إلى أمير بُصرى الشام حيث اعترضه في طريقه شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله، مما أدّى ذلك لوقوع غزوة مؤتة.
3- ضريح جعفر بن أبي طالب ويقع في بلدة المزار الجنوبي في محافظة الكرك، وهو عبارة عن مسجد كبير بُني حديثًا، وفي داخله ضريح يُنسب للصَّحابي جعفر بن أبي طالب القائد الثّاني في معركة مؤتة. تم إعادة إعمار الضريح عام 1997 ليضم معه ضريح زيد بن حارثة، وجرى الربط بينهم بأروقة. وقد تم العثور على نقوش تدلّ على اعتناء الأيوبيين والمماليك بهذا الضريح.
4- ضريح شرحبيل بن حسنة ويقع في بلدة المشارع قرب وادي اليابس على بعد 58كم من مدينة إربد، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن مسجد حديث وفيه ضريح يُنسب للصحابي شرحبيل بن حسنة والموجود في غرفة على يسار المدخل إلى المسجد وعليه كسوة من المخمل الأخضر.
5- ضريح زيد بن حارثة ويقع في بلدة المزار الجنوبي في محافظة الكرك، وهو عبارة عن بناءٍ حديثٍ يعلوه قُبّة حجريّة في داخله ضريح يُنسب للصَّحابي زيد بن حارثة القائد الأوّل في معركة مؤتة. تم إعادة إعمار الضريح عام 1997 ليصبح ضمن مسجد جعفر الطيار في الناحية الشرقية

محاذيًا للبوابة الشرقية للمسجد والذي يضم أيضًا ضريح جعفر بن أبي طالب، وجرى الربط بينهم بأروقة.

6- ضريح عامر بن أبي وقاص ويقع في بلدة وقّاص بالقرب من منطقة المشارع في الأغوار الشمالية، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن مسجد في داخله ضريح يُنسب للصحابي عامر بن أبي وقاص الذي شارك في فتوح الشام، والذي تُوفي في معركة اليرموك بعد إصابته بطاعون عمواس.

7- ضريح ضرار بن الأزور ويقع في بلدة دير علا في منطقة الأغوار الوسطى، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن مسجد حديث، وساحة واسعة، وحديقة تزيّنها الأشجار المعمّرة وأشجار الزيتون والنخيل، وضريح يُنسَب للصّحابي ضرار بن الأزور.

8- ضريح عبدالله بن رواحة ويقع في بلدة المزار الجنوبي في محافظة الكرك، وهو عبارة عن بناءٍ حديثٍ في داخله ضريح يُنسب للصَّحابي عبد الله بن رواحة القائد الثالث في معركة مؤتة. تم إعادة إعمار الضريح عام 1997، ويبعد هذا الضريح مسافة 300م عن ضريحي الصحابيين جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة.

9- ضريح فرزة بن عمرو الجذامي ويقع قرب مدينة الطفيلة جنوب الأردن، في منطقة تُشرف على حمامات عفرا من الجهة الشرقية على بعد 27 كم تقريبًا من الطفيلة، وهو عبارة عن ضريح حجري يُنسب لفروة بن عمرو الجذامي الذي كان حاكمًا على مدينة معان في عهد الروم، والذين قتلوه وصلبوه عند حمامات عفرا بعد أن أشهر إسلامه.

10- ضريح معاذ بن جبل ويقع ضمن حدود بلدية معاذ بن جبل في منطقة الشونة الشمالية في الأغوار الشمالية، شمال غرب الأردن، وهو عبارة عن بناء تعلوه خمس قباب يعود إلى العهد العثماني، وفي داخله يوجد ضريح يُنسب للصحابي معاذ بن جبل وضريح آخر لولده عبد الرحمن بن معاذ بن جبل.

11- مقام أبي الدرداء ويقع في بلدة سوم على بعد 15 كم من مدينة إربد، وهو عبارة عن بناء قديم صغير في داخله ضريح يُنسب إلى الصَّحابي أبو الدرداء، إلا أنّ كتب التاريخ تذكر أنّ وفاته كانت في دمشق وله مقام هناك معلوم، وهذا المقام ليس فيه ضريح.

12- مقام أبي ذر الغفاري ويقع في قرية الشقيق غرب ذيبان في محافظة مادبا وسط الأردن، وهو عبارة عن مقام وليس ضريح، حيث كان مكان تعبّد الصحابي أبي ذر الغفاري والذي أقام فيه عند عودته من الشام عدة سنوات ولم يُدفن فيه.

13- مقام جابر الأنصاري ويقع في مدينة الطفيلة جنوب الأردن، في منطقة البقيع، وهو عبارة عن غرفة صغيرة على تل جبل الأنصار، فيها ضريح يُنسب للصحابي جابر الأنصاري، حيث سكن هذه المنطقة في فترة من الفترات.

14- مقام عبدالرحمن بن عوف ويقع في منطقة الجبيهة، شمال عمان. وهذا المقام ليس ضريحًا، بل مبنى يُشير إلى إقامته في هذه المنطقة، أو مرورِه منها، وهو في بلاد الشام، وبينما كانت وزارة الأوقاف تعمل على توسعة المقام كُشف في الأرض المجاورة على بقايا كاتدرائية ومرفقاتها، وما زال البحث الأثري مستمر حول المقام والآثار التي كُشفت حوله حتى تاريخ تدوين هذا الكتاب.

15- مقام عكرمة بن أبي جهل ويقع في محافظة عجلون، وهو عبارة عن كومة من الحجارة والأتربة حيث كان يشير إليه سكان المنطقة قديمًا بأنه مقام الصَّحابيّ عكرمة بن أبي جهل، ويُرجح أنّه لم يُدفن في هذا المكان، بل ربّما يكون قد أقام به أو مرّ منه.

16- مقام ميسرة بن مسروق العبسي ويقع في قرية ميسرة على بعد 10 كم من مدينة السلط، وهو عبارة عن ضريح بُني من حجارة وينسب إلى الصَّحابي ميسرة بن مسروق العبسي.

17- مقام بلال بن رباح ويقع في قرية بلال في منطقة وادي السير، في عمّان، وهو عبارة عن بناء حديث في داخلة ضريح ينسب إلى مؤذن الرسول بلال بن رباح، لكنه مقام لم يُدفن فيه.

آلهة وثنية أردنية

لا بد أن نُشير هنا إلى بعض الآلهة التي عبدها سكان الأردن في قديم الزمان، فالعمونيون كانوا يعبدون ملكوم وكان رئيس الآلهة عندهم بالإضافة لعبادتهم لمولك واللات وكموش. بينما عبد المؤابيين كموش وكان إله الحرب عندهم وزوجته الإلهة عشتر- كموش، بينما عبد الأدوميين إلهًا اسمه قوس، كما عبدوا بعل وإيل وعشتار، وهناك دراسات متعددة بأن قوسًا هذا كان اسمًا آخر ليهوة. يشار إلى أن الاحتلال الروماني لمنطقتنا جلب آلهة رومانية للمدن التي بنيت أو أُعيد بناءها في الفترة الرومانية، منها أفروديت حيث كشفت حفريات أثرية عن تمثال حجري يمثل إله الحب والجمال "أفروديت" عند الرومان في مدينة جرش، بينما عبد الأنباط ذو الشرى واللات والعزى ومناة، وقبلها عُرفت هذه المنطقة بعبادة "شيع القوم" و"الكتبا" و"حدد أو هدد". كما أن أهل الأردن عبدو هُبل، فيقال: قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب[29] من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق - وهم ولد عملاق، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون، قالوا له هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، و نستنصرها فتنصرنا، فقال لهم أفلا تعطونني منها صنما، فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

[29] مؤآب.

معلومات عامة

المدن الممالك:

إن المدن لم تظهر بصورة سريعة، ولكنها مرت بمراحل معينة في عملية نشأتها، ويسبق وجود المدينة وجود عدد لا بأس به من السكان في بقعة جغرافية تتوفر فيها مناطق الرعي والزراعة والخشب الذي يصلح كوقود وكمواد للبناء مع الحجارة وهي المواد الضرورية والأولية لسد حاجة السكان وضمان استمرار استقرارهم في المكان، أي توقفهم عن التنقل وزيادة عددهم عن قدرة مغارة أو مجموعة كهوف من استيعابهم هذا إن توفر في المكان المنشود مغاور أو كهوف. فنشأة المدن القديمة كانت ترتبط بعوامل قيامها خصوصًا أن مجتمع المدينة تاريخيًا كان أكثر تطورًا من مجتمع القرية حيث زاد عدد السكان وزاد إنتاج الطعام وتفرغ جزء من السكان لعملٍ أو لإنتاج آخر؛ فكان بعضهم يعمل في الحراسة أو الجيش، وبعضهم يعمل في التجارة بأشكالها البسيطة مع مدنٍ أخرى قريبة، وبعضهم يعمل في البناء وهكذا. خصوصًا أنه برز في تلك المجتمعات نظام طبقي بسيط يتكون من الطبقة العليا والتي تكونت من الملك وعائلته ورجال الدين، والطبقة الوسطى والمكونة من الأغنياء ومُلاك الأراضي والتجار وقادة الجيش، والطبقة الدنيا أو السفلى والتي كانت تتكون من العمال والفلاحيين والعامة، وطبقة رابعة كانت تتكون من العبيد والسبايا. وساهم استعمال المعادن وخصوصًا النحاس والبرونز والحديد والاشتغال بالنشاطات الأخرى غير الزراعية وغير الرعي، بظهور التجارة والصناعة، كما ساهم ظهور الكهنة وتطور الديانات القديمة وظهور القادة والرجال الأقوياء واستخدامهم في تنظيم الأشكال الأولية من الجيش البدائية، وظهور الرجال الحرفيين، وظهور عدد من الاختراعات والاكتشافات بعد العصور الحجرية ساهم كله في وجود ما يسمى ممالك المدن أي أن كل مدينة كان لها ملكها وشكل بدائي من أشكال الحكم والإدارة. لكن لا بد أن ننوه أن تلك الممالك كانت تمتاز بالأمور التالية:

1- أنها كانت مدن بدائية، ولكنها كانت أكبر حجمًا وأكثر اتساعا وكثافة من المستوطنات التي سبقتها، وأنها مرت بتطورت مع العصور حتى وصلت

الممالك لمساحات كبرى وأصبح هناك عاصمة ومدن تابعة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعض مدن الممالك تطورت بشكل أسرع من غيرها وساهم في ذلك قوة ملكها وبأس جيشها وتطور اقتصادها.

2- أن اغلب سكان المدن القديمة لم ينفصلوا عن الأرض، بل كان بعض سكانها يعملون في الزراعة جنبًا إلى جنب مع تخصص جزء من السكان في أعمالٍ أخرى.

3- إضافة إلى ذلك أن هذه المدن مع الزمن والتطور والاستقرار أصبحت تتميز بوجود فائض من السلع والمنتجات وكان هذا الفائض يُجمع من السكان ليكون رأسمال فعال للمدينة ويستخدم كتجارة وتبادل سلع مع الممالك الأخرى القريبة.

يشار إلى أن بلاد الرافدين وأرض الشام ومصر كانت من أولى المناطق التي حدث فيها الانتقال من مرحلة الرعي والترحال إلى مرحلة الزراعة والاستقرار، ثم التجارة، لذلك كشفت التنقيبات الأثرية إلى وجود الكثير من المستوطنة البشرية وممالك المدن والتي ذكر الكتاب المقدس العديد منها خصوصًا في التوراة. إلا أن معظم هذه الممالك اندثرت ولم يبق لها أثر يُذكر لذلك لم تكشف الحفريات الأثرية الكثير من هذه الممالك الصغيرة لأسبا نوجزها بالتالي:

1- أن الكثير من هذه الممالك كانت بدائية الشكل والمظهر والعمران، فكان اندثارها اسرع.
2- أن الحروب القديمة بين هذه الممالك ساهمت بشكل أو بآخر بمحو ممالك عن بكرة أبيها، وبالتالي يستحيل أن تجد أثرًا واحدًا لها، أو قد نجد لها القليل من الآثار الباقية والتي قد لا تقدم تفسيرًا أو إشارات واضحة لاسمها أو اسم لأحد من ملوكها وبالتالي تاريخها، مما يجعل المكان مبهمًا في أغلب الأحيان.
3- أن التسارع في العمران الحديث وتطور البنى التحتية ساهم بشكل كبير في محو أو طمس أو إندثار الكثير من المواقع الأثرية.
4- أن الكثير من الحفريات غير الشرعية وأعمال سُرّاق الآثار قد دمر أو خرّب الكثير من المواقع الأثرية.
5- أن الكثير من النقوش أو الكتابات سواء في المواقع الأثرية أو على الألواح أو جلود الحيوانات أو الوسائل التي كان يُكتب عليها قديمًا تعرضت للتلف الناتج عن عوامل الطبيعة أو العوامل البشرية، بالإضافة لعدم معرفة الكثير من اللغات البائدة وفك رموزها، ناهيك عن التشكيك الذي طال الكثير من القراءات التي قُدمت للنقوش أو الكتابات التي كُشفت.

القار في البحر الميت

كان البحر الميت أو بحر الملح مصدرًا أساسيًا ومهمًا في إنتاج مادة القار أو الأسفلت في الشرق، فقد ذكر ديودور الصقليّ أو ثيودور الصقليّ (بالإنجليزية: Diodorus Siculus) في كتابه مكتبة التاريخ (خزانة التاريخ) أن الأنباط كانوا يستخرجونه من البحر بكميات كبيرة تتراوح ما بين عشرة آلاف إلى ثلاثين ألف قدم مكعب في السنة، وقاموا ببيعه إلى الفراعنة في فترة مبكرة بين الأعوام (3900 – 200 ق.م) والذي استخدمه الفراعنة لاحقًا في التحنيط. وقد كانت بقايا القار التي تطفو بشكل عشوائي على السطح تجعل سكان المنطقة ثم الأنباط لاحقًا يخرجون في قوارب لجمع البقايا ووضعها في مستوعبات ثم بيعها كسلعة باهظة الثمن، ويبدو أن اكتشاف القار وبيان أهميته وفوائده الإقتصادية قد جلب لسكان هذه المنطقة العداء، ولعل هذا هو أحد أهم الاسباب لقيام الحرب التي حصلت بين الأنباط والسلوقيين بالإضافة لطرق التجارة التي وفرت للأنباط ثروة هائلة. وقد حاول ديميتريوس في إحدى حملاته أن يبقى في منطقة البحر الميت، لمعرفة المزيد عن القار، وأبلغ ديميتريوس والده عن القار، فأرسل أنتيغونوس بعثة استكشافية بقيادة هيرونيموس إلى البحر الميت، فقام الأنباط بالتصدي للحملة وقتل معظم الأعداء.

السيرة الذاتية للمؤلف

أشرف عبدالله الضباعين، ولد في مادبا – الأردن في 12\8\1973 ويحمل شهادة بكالوريس إدارة أعمال. كاتب ومؤلف وروائي في عددٍ من الموضوعات، كما أنه كاتب غير متفرغ في العديد من المواقع الإلكترونية والصحف والمجلات في قضايا سياسية وأدبية وثقافية. وهو الرئيس والمشرف العام لمبادرة نشر للثقافة والعلوم، ونائب رئيس مبادرة آثارنا رمز انتمائنا، وعضو هيئات ثقافية واجتماعية متعددة، ومدير هيئة التحرير لمجلة آثارنا و كان محررًا في عددٍ من المجلات والنشرات الثقافية والعلمية والأدبية.

عمل فترة كمحاضر غير متفرغ لمادة السياحة الدينية.

صدرت له أيضًا الكتب التالية:

الأول: إدارة المواقع الأثرية وتسويقها سياحياً / مكتبة الراتب العلمية / عمان 2003.

الثاني: مواقع التراث الثقافي – إدارة وسياحة وتسويق/ وزارة الثقافة الأردنية/ عمان 2012.

الثالث: ليتني – يوميات عاشق غريب / مقطوعات نثرية/ مادبا 2014.

الرابع: خوف خلف الأقنعة / قصص قصيرة ونصوص / مادبا 2015.

الخامس: الوهم / رواية/ دار الخليج للنشر/ عمان 2017.

السادس: ناجون من الحب/ رواية/ دار الخليج للنشر/ عمان 2020

السابع: إدارة الآثار والتراث وفقًا للمعايير العالمية / كتاب أكاديمي/ دار ورد للنشر والتوزيع/ عمان 2020.

الثامن: صحراء فاضلة/ رواية/ دار دنداشي ودار جفرا للنشر/ عمان ومونتريال 2022.

المراجع

1- الكتاب المقدس.
2- القرآن الكريم.
3- السردية التاريخية والسردية الدينية، مقال ليوسف ضمرة، مقال منشور في صحيفة الإمارات اليوم الإلكترونية، 2013.
4- التاريخ، هيرودوت، الجزء 7، صفحة 89.
5- السردية التاريخية والهوية الوطنية، مقال لجهاد هارون، مقال منشور في صحيفة الرأي الأردنية، نشر في: الجمعة 14 آب / أغسطس 2020.
6- القدس قبل الإسلام بين النصوص التوراتية والمصادر التاريخية والآثار، زيدان عبدالكافي كفافي، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2021.
7- الآثار المسيحية في الأردن، سليم وهبان الصائغ، مركز الكتب الأردني – عمان، 2009.
8- مادبا، كنائس وفسيفساء، ميشيل بيشريللو، دار الكتاب النشر للبولسيين في ميلانو 1993.
9- قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، الطبعة الثانية، بيروت، 1971.
10- موسوعة الكتاب المقدس، صدر عن دار منهل الحياة، منصورية المتن، لبنان وعن دار الكتاب المقدس نيوروضة، لبنان.
11- السيرة الحلبية لابن برهان الدين علي الحلبي، 3 أجزاء، بيروت 1980.
12- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن ناصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لأبن خلدون، 7 أجزاء، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981.
13- بنو إسرائيل في القرآن والسُنة، محمد طنطاوي، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الثانية، 2000.

14- التراث في خدمة الإنسانية، مقال لأشرف الضباعين، مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، نُشر في: العدد: 7152 - 2022 / 2 / 2 - 10:31.
15- المصادر التاريخية للنصوص المقدسة " كتاب التوراة نموذجًا"، مجيطنة عبدالحق، مقال منشور في مجلة الترجمة واللغات، المجلد 16 العدد 2017/02.
16- تفكيك السردية الصهيونية لانشاء الدولة اليهودية، مقال لأمين محمود، نُشر في صحيفة رأي اليوم بتاريخ 23 إبريل 2022.

المراجع الأجنبية:

1- Paul Ricoeur : Temps et récit ,III le temps raconté, éd Seuil,Paris -Col -L'ordre Philosophique) 1985, P: 435.
2- Dr. Fawzi Zayadine: Biblical Sites Jordan Land Of Prophets, CASA EDITRICE BONECHVia Cairoli 18B- 50131 Florence, Italy .

السَّرديَّةُ التَّاريخيَّة، روايةٌ إنسانيةٌ ترتبطُ بالمكانِ والزمانِ. ومِن هُنا، فإنَّ الأردنَ عُمِرت بالناسِ منذ عصورِ ما قبلَ التَّاريخ وحتَّى الآن، فنشأت في رُبوعِها ممالك ومدن وقرى، ومرَّ عبرَ أراضيها أممٌ وقبائلُ وتجارٌ وجيوش، وبارك أرضها ولادة أو مرور أو موت أو استشهاد نبيٍّ أو قديس؛ وشكلت هذه الظواهر الإنسانيَّة موروثًا أردنيًّا نفتخرُ به، ونقدمه للبشريةِ كجزءٍ من تراثنا الأردنيِّ الثَّقافي.

أشرف عبدالله الضباعين

للتواصل مع الكاتب:

الكاتب والروائي أشرف الضباعين

ashraf.dabain

0791314568

الرقم المعياري الدولي ISBN 978-9923-0-1297-0 ـ ردمك